وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر(2) أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

مطبوعة بيداغوجية في مقياس منهجيات الحوار وأخلاقيات التواصل

Lectures on dialogue methodologies and communication ethics

محاضرات موجهة لطلبة مستوى ماستر2 تخصص: فلسفة تطبيقية

لجنة المناقشة:

أ.د. مسعود لبيوض

أ.د. نادية لعروسي

إعداد الدكتورة فريدة أولو

محاضرة (أ)

السنة الدراسية:2024/2023

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research University of Algiers-2 Abu Al-Qasim Saadallah Faculty of Humanities Department of Philosophy

Lectures on dialogue methodologies and communication ethics

Addressed to students of the Master 2, Applied Philosophy Branch

BAY DR : FARIDA OULMOU

Discussion committee

Pr. Messaoud Labyoud

Pr. Nadia Larousse

University year :2023 -2024

ملخص المطبوعة البيداغوجية

تتألف المطبوعة من سلسلة محاضرات موجهة لطلبة الفلسفة التطبيقية ماستر2.

تعالج هذه المحاضرات سلسلة مفاهيم حول أخلاقيات الحوار وشروطه وأسسه بين الأفراد وبين المجتمعات والحضارات.

كما أن هذه المحاضرات المبرمجة وفق المقرر الدراسي الوزاري تهدف إلى إرساء معالم الحوار الحضاري وإبراز أهم النظريات الفلسفية المؤسسة لفلسفة الاختلاف ولأخلاقيات وأبجديات التواصل الحضاري البناء و توطيد سبل العيش المشترك والمجتمع الإنساني المتكامل الحقوق والواجبات والساعي لتحقيق السعادة الإنسانية والكرامة للبشرية جمعاء.

Abstract of the pedagogical publication

The publication consists of a series of lectures directed to students of Applied Philosophy Master 2. These lectures address a series of concepts about the ethics, conditions, and foundations of dialogue between individuals and between societies and civilizations.

These lectures, programmed in accordance with the ministerial curriculum, aim to establish the features of civilizational dialogue and highlight the most important philosophical theories establishing the philosophy of difference and the ethics and ABCs of constructive civilizational communication, consolidating ways of living together, and a human society integrated with rights and duties, striving to achieve human happiness and dignity for all humanity.

برنامج الوحدة حسب المقرر الوزاري

عنوان الماستر: فلسفة تطبيقية.

السداسي: الثالث

اسم الوحدة: منهجية

اسم المادة: منهجيات الحوار وأخلاقيات التواصل

الرصيد: 3

المعامل: 2

أهداف التعليم:

- ترسيخ قواعد التفكير النقدي وشروط الحوار العقلاني
- ترسيخ قيمة تعددية الحقيقة وإتقان فلسفة الاختلاف والاعتراف
- جعل العديد من المفاهيم كالاختلاف والتسامح والاعتراف تأخذ مكانها وبعدها الحقيقي ضمن التفاعلات الحوارية.
- الارتقاء بالطالب إلى مستوى الحوار الجاد بامتلاك الحجج المنطقية والآليات المنهجية التي تمكنه من حل مشاكله بالطرق السلمية

المعارف السابقة: يفترض أن يكون الطالب مطلعا على فلسفة الحداثة خاصة ما يتعلق بالعقل والعقلانية، وكذلك المقدمات الكبرى في فلسفة الحضارة وفلسفة الأخلاق، وكذلك أن يكون مطلعا على المباحث الكبرى للمنطق الصوري والرمزي.

محاور المادة:

المحور الأول: الحوار

- مفهومه
- وسائله
- غايته

المحور الثاني: منطق العلاقة بين الحضارات

- نظرية الصدام
- نظرية التواصل
- نظرية التعارف
- نظرية التدافع

المحور الثالث: أطروحة تعارف الحضارات.

- الوحدة البشرية.
- النزعة الإنسانية المفتوحة
- الكرامة الإنسانية.

طريقة التقييم: متواصل – امتحان

المصادر والمراجع:(مقترحات لجنة التكوين الوزارية)

- أليز جاكار، إبتداع الإنسان، ترجمة إياس حسن، دار الكنوز الأدبية، لبنان ط 01، 1996.
- تراوغوت شوفتهالر، التدرب على العيش معا واحد من تحديات العولمة، في الحوار الثقافي الأوروبي متطلباته وآفاقه.
- حسان الباهي، منهجية الحوار والتفكير النقدي، المغرب: إفريقيا الشرق، 2004.
- حمادي بن جاء الله، في مبادئ الحوار وضوابطه، الخطاب الأنطولوجي العربي "كتاب الهند" للبيروني أنموذجا تطبيقيا، في الحوار الثقافي الأوروبي متطلباته وآفاقه، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2002.
- زياد منى، تلفيق صورة الأخر في التلموذ، شركة قدمس للنشر والتوزيع، ط 03، سورية، 2004.
- سعاد حرب، الأنا والاخر والجماعة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، لبنان، 1994.
- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2002.
- علي ليلة، تفاعل الحضارات، الهيئة العامة للكتاب والوثائق القومية، مصر، 2006.
- فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة هنرييت جود.
- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة، هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1 1999م.
- محمد الغزالي، التعصب بين المسيحية والاسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط 06، 2005.

- المطران كيرلس سليم بسترس، أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، المكتبة البولسية، جونية، لبنان، 1999م.
- ناصيف نصار، الفلسفة في معركة الإيديولوجية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.
- زكي الميلاد وآخرون: تعارف الحضارات، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 2006م.
- علي المزروعي: أفريقيا والإسلام والغرب، ترجمة: صبحي قنصوة وآخرون، مركز دارسات المستقبل الأفريقي، 1998م.

المحور الأول: في مفهوم الحوار

مدخل عام إلى الوحدة (محاضرة تمهيدية)

يتداخل في العلاقة بين الشرق والغرب والحضارات الأخرى وخاصة منها ما تعلق بالجغرافية الإسلامية وما خالفها كل ما هو تاريخي وديني وسياسي واقتصادي وثقافي، وبصورة حادة ومتراكمة، بعد أن ظلت لقرون طويلة من الزمن مسكونة بالتوجس والصدام. وإذا كان من شروط الحوار معرفة "الآخر" واعتباره طرفا في العملية التحاورية، فإن صورة الآخر في المخيلة الغربية وصورة الغرب في مخيلة الآخر، يتوقف عليها نجاح عملية الحوار أو إخفاقها، **وهل يمكن أن نؤسس لهذا الحوار وفقا لمقولة ابن رشد الحفيد: "لا بد أن يسمع الإنسان أقاويل المختلفين في كل شيء يفحص عنه، إن كان يحب أن يكون من أهل الحق؟**

كذلك الحوار يعد إحدى آليات التفكير الإنساني المتطور، وهو ما يميز اللغة الإنسانية، عن غيرها بما يتضمن من اقتراحات لأفكار وتجارب إنسانية ونقدها وتجاوزها نحو الأحسن، من خلال تبادل المعلومات والمعارف والتساؤلات والإجابات، فاللغة الإنسانية هي لغة وسيطة تحل محل التجربة وتتجاوزها في بعض الأحيان

فهل يمكن التأسيس الفعلي لما دعت له كثير من المبادرات الفكرية إلى ضرورة إرساء براديغم جديد، يؤسس للتواصل الإنساني مستوعبا مختلف الهويات الحضارية التي وجدت نفسها، منطلقة من قاعدة أن الاختلافات بين البشر داخل الجماعة الواحدة أو بين الجماعات يحكمها التبادل، وبالتالي لا يفضي هذا الاختلاف بالضرورة إلى تناقضات وصراعات، بل يمكن أن يؤدي ذلك إلى تبادل خبرات وتعاون؟

المحاضرة الأولى : في مفهوم الحوار وآلياته

لقد اهتمت المدارس الفلسفية المعاصرة بالحوار وعلاقة الإنسان بالآخر، باعتبار أن الإنسان يعيش في عالم مركب متعدد الأبعاد، فالوجود بالنسبة له لا يتحقق إلا من خلال التلاقي بالآخر والاحتكاك معه؛ "وقد اجتمعت العرب أن الاختلاف والمخالفة في اللغة، تعني أن ينهج كل شخص طريقا مغايرا للآخر في حاله أو في قوله والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفان ضدان وتتسع مقولة الاختلاف والخلاف لتشمل أحيانا المنازعة والجدل والمجادلة ما إلى ذلك لكن الاختلاف يبقى سنة كونية لا مناص منها"[1]

ويمكن التفريق في المدارس الفلسفية الغربية المعاصرة بين من يؤكد إمكانية التواصل مع الآخر وهو التيار التواصلي، وبين اللذين يدعون للقطيعة ويعتبرون الآخر مصدر توتر وشر وهو التيار اللا تواصلي و تظهر إمكانية الحوار من استحالته عندما تقر الذات بوجود الآخر ومحاولة فهمه وإشراكه في العملية الوجودية، وينتفي الحوار عندما تستبد القوة بالسلطة حيث ينتفي أي مكان للحوار بالسعي إلى قتل الآخر حقيقة أو مجازا، أي **"نفي الوجود برفض الحوار ونفي الحوار برفض الوجود** وهذا ومما عزز صورة التوجس والخوف من الحوار "محاولات الحضارة الغربية بمحتوياتها الجديدة في فرض هيمنتها و كونيتها وإملاء أنموذجها (بالترغيب والترهيب) ومفاهيمها دون مراعاة الحضارات السائدة الأخرى[2] .

فالحوار لا يتم إلا باحترام الفكر والفكر الأخر. وبشرط أن لا يكون هدف الحوار هو فرض الرأي أو الرأي الأخر. و إن كان الحوار اصطلاحاً: هو لفظ عام يشمل صوراً عديدة منها المناظرة والمجادلة، ويُراد به: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة.

ويؤكد تاريخ الفلسفة أن الفلسفة سعت إلى الحوار والتواصل بفعل وطبيعة العلاقات الإنسانية التي تحدد ماهيتها ومصيرها وهي طبيعة قائمة على الحوار وتبادل القيم والمنافع التي جسدتها الشعوب والأمم في مسيراتها التاريخية ، وتتجلى أهمية الحوار من أهمية الإنسان نفسه، "بوصفه ناطقا يمارس علاقته بوجوده كفعل تواصلي عبر المحادثة مع الآخر، لذا المعنى يشكل الحوار بعدا من أبعادا الكينونة، خاصة إذا كان تعارفا أو تداولا معرفيا حول معاني الكينونة، والهوية والإنسان والحوار[3]".

فما هو الحوار ؟

وماهي آلياته ومكتسباته؟

وماهي معوقاته؟

ورد لفظ الحوار في اللغة العربية إذ يقول ابن منظور: "الحور هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يقال حار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ومحارة: رجع عنه وإليه"، مصداقا لقوله تعالى في سورة الانشقاق آية 14:" إنه ظن ألن يحور"[4].

أما في القرآن الكريم الذي يعد مصدرا رئيسا للفكر الإسلامي ، فقد أحصى محمد السماك و بين غنى القرآن الكريم "بالمصطلحات والمفاهيم الدالة على الحوار بين الأطراف المختلفة والمتصارعة ،

فقد وردت كلمة" قال"ومشتقاتها 1713مرة منها 549 مرة كلمة "قال "و355 مرة كلمة "قالوا"، ووردت كلمة "جادل " ومشتقاتها 29 مرة ووردت كلمة "حاج" ومشتقاتها 29مرة ووردت كلمة "حاج، يحاجج" 13 مرة، ووردت كلمة "حوار" 3مرات[5].

و في الفرنسية dialogue، في الانجليزية dialogue واصله في اليونانية dialogos ويقال : حاوره محاورة، حوارا، جادله، والمحاورة: المجاوبة، أو مراجعة النطق و الكلام في المخاطبة. والتحاور التجاوب لذلك كان لابد في الحوار من وجود متكلم و مخاطب، ولابد فيه كذلك من تبادل الكلام و مراجعته، وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم الا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني و إغناء للمفاهيم، يقضيان إلى تقدم الفكر، واذا كان الحوار تجاوبا بين الأضداد، كالمجرد والمشخص، والمعقول والمحسوس، والحب والواجب، سمي جدلا[6].

الحوار هو لفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية Dialoguesوالتي تعني محادثة، والحوار يعني مداولة كلامية، نقاش، تبادل لوجهات النظر بين شخصين أو أكثر، والهدف إيجاد أرضية للوفاق والتفاهم.

إن الحوار عبارة عن محادثة بين شخصين (طرفين) أو أكثر، تبادل لفظي، لكن هذا لا يكفي، فليس التكلم بين طرف وآخر يعني أننا نتحاور. لهذا يجب تحديد معنى الحوار والشروط التي يجب أن تتوفر لكي نقول أن هذا التبادل الكلامي بين طرفين أو أكثر هو حوار أو شيء آخر. ف " حوّر الكلام أي غيّره "والتغيير يكون تبعا لمستجدات في العقل أو الحياة أو الأشياء وهذا يعني الرجوع أيضاً.

فالحوار قبل كل شيء هو "موقف " لشخص معين في علاقته مع أشخاص آخرين، هذا الموقف يفترض معرفة الذات أولا حتى يتمكن هذا الطرف من القيام بكل أدواره أمام تعقد

العلاقات الإنسانية؛ هذا الموقف مرادف كذلك " للاستعداد " و" القابلية " " للإصغاء " أو تقبل الآخر وذلك بالاستماع المتبادل بين الطرفين. يقول غاستون بروتول: " يمكن العثور في قلب جميع الحضارات على "العقد العدوانية" التي تتكون من طفرات العنف الفردية والجماعية ومن خصائص هذه الطفرات أنها تطغى عند ظهورها على جميع أنواع التفكير العقلاني والفكر الناقد".

وفلسفة الحوار هي قبل كل شيء موقف طرف معين في علاقته مع أطراف أخرى، هذا الموقف يفترض **معرفة الذات** أولا حتى يتمكن هذا الطرف من القيام بكل أدواره أمام تعقد العلاقات الإنسانية. هذا الموقف مرادف كذلك " **للاستعداد** " و" **القابلية**" و" **للإصغاء** " أو تقبل الآخر وذلك بالاستماع المتبادل بين الطرفين والذي يفضي في آخر العملية إلى تبادل المواقف والآراء فيما بين الأطراف المتحدثة؛ فهو على هذا النحو كما يقول أحد الباحثين: " هو أن يتناول الحديثَ طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوِّن لنفسه موقفًا.

إذن **الحوار بالضرورة** هو تبادل وجهات النظر المختلفة، بين شخصين أو فئتين أو أكثر حول موضوع معين للوصول إلى نتيجة تكون محل اتفاق المتحاورين، بالاقتناع أو بالتنازلات، والتراضي، وأهداف الحوار تختلف فهناك حوارات تبحث عن تفاهم متبادل وتعارف أعمق وهناك حوارات تبحث عن موقف مشترك من قضية بعينها وهناك حوارات ذات أغراض سياسية[7].

وقد لا يتمخض الحوار عن أية نتيجة، ويكون مصيره الفشل. والحوار يكون نزيها و حقيقيا، إذا كان مبنيا على الحجة القوية والموضوعية والصراحة والتواضع... و دون لف أو دوران

لهذا يُعدُّ الحوار وسيلة للعقل من أجل التفاهم وتلاقي الآراء، وتصبح معرفة دلالته . لغة واصطلاحاً . ضرورة لفهم ثقافة الحوار التي غدت كينونة وجودية عند العرب والمسلمين. فالحوار (Dialogue)

لغة كما سبق وأشرنا هو مراجعة الكلام بين طرفين في شأن ما، أو رأي ما؛ لتعزيزه، أو تصويبه، أو تطويره، أو التخلي عنه .وحاوره في العربية أكفر دقة وتصويبا للمعني الأمر فهو بمعنى المراجعة، أي راجعه فيه، حاوره محاورة وحواراً، ومحارة وحورا، وكله من الحَوْر (بتسكين الواو) الرجوع،

وعليه يكننا الاستشهاد بقوله تعالى: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما، إن الله سميع بصير}(سورة المجادلة 1/58).

علماً أن الحوار في النص القرآني موضوع لذاته بوصفه الحل الأمثل لعلاج أي خلاف ينشأ بين أبناء الأمة للاهتداء إلى الحقيقة، وإزالة الغشاوة عنها مصداقاً لقوله تعالى أيضا : { قال له صاحبه وهو يحاوره: أكفرت بالذي خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً} (سورة الكهف 37)[8].

وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة تبرز مفهوم وأشكال الحوار المختلفة مصداقا لقوله تعالى:

* ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَّجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَّفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (سورة الكهف: 32-36).

*﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (سورة الكهف:37).

* ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة المجادلة:1).

* ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (سورة الانشقاق:14).

ومن النموذج القرآني للحوار الآيات الكريمات التي جاءت في سورة الكهف، وهي القصة التي جرت بين موسى عليه السلام والخضر:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنٰهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَآءَ اللهُ صَابِرًا وَلآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: 65-78).

إن الحوار بشكل عام وحين يتجاوز منطق ثنائية الأفراد إلى منطق التحاور بين الأمم والحضارات ينطلق أولا من الإيمان بالتعدد الحضاري، والتنوع الثقافي، وهو على خلاف منطلقات العولمة التي تسعى إلى تنميط وتوحيد العالم ولا تعترف إلا بثقافة القويّ ومن ثمة لا تعترف بالتالي بالجوار الحضاري، كما يمكن أن نقول عن الحوار الحضاري إنه تفاعل إيجابي بين الشعوب والأمم من منطلق أن قيم الحضارات قيم إنسانية عالمية، لا تحوزها حضارة دون أخرى، إن المنطلقات الأساسية

لأي حوار حضاري هو الاعتقاد بأن الحضارات تقف على قدم المساواة وأن الهدف من الحوار هو التفاهم والتفاعل والقضاء على الصراع، وما يتبعه من تسميم للثقافات، بل إنه ينطلق من التعارف والتعايش والتفاعل والتحالف الحضاري، ولكل من هذه المعاني رابط يجمعها، فالحوار الفعال حوار العقل والاتصالات والمشاركة، وليس الفرض والقهر والإملاء، ومنه يكون "حوار الحضارات المقصود به أن يكون بين ممثلي الحضارات المختلفة لقاءات، وتعاون وتفاعل يستمع بعضهم إلى بعض، وليستفيد بعضهم من بعض في شؤون الحياة المختلفة، وليبلغ كل طرف رسالته الحضارية للآخر بالجدال والإقناع والبرهان، فهو بهذا يعد عملا فكريا".

فالحضارات كيانات ثقافية تتفاعل فيما بينها ويستفيد بعضها من تجارب بعض، وإن ما وصلت إليه الحضارة اليوم هو نتاج التراكمية التي مرت بها الأجيال، ولا وجود لحضارة ولدت من عدم، ولهذا لا يمكن لأي حضارة أن تدّعي المطلقية أو السرمدية، لأن تعاقب الحضارات حقيقة تاريخية لا يمكن الهروب منها أو إلغاؤها، وإن الحضارات التي شهدت فترات ذهبية في حياتها هي التي كانت تمارس الحوار والتواصل أكثر من العنف والحروب والدمار. أنّ فعل التثاقف هو الفعل الذي يجب أن يكون بين الحضارات المتحاورة، ومن خلاله يمكن أتستفيد أي أمة مما ينتجه الآخرون، فتقوم بالتالي العلاقة بين الحضارات على التأثير والتأثر، وهذا الفعل ينطلق بدوره من الإيمان بالانتماءات والاختلافات والعدد والتنوع والمساواة بين الحضارات، وعليه "يشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف، ويكرّس التعددية ويؤمن بالمساواة، لهذا **فإن الحوار لا يرمي إلى التطابق في وجهتا النظر بين المختلفين بقدر ما يرمي إلى خلق مناخ للتعايش أو وسط مفهومي، أو مجال عام أو قيمة تبادلية أو فسحة تنويرية أو صيغة مركبة أو لغة حية ومتحركة أو عقلية مفتوحة ومتجددة**[9].

❖ شروط الحوار :

ويمكن تلخيص الشروط الواجب توفرها في العملية التحاورية في النقاط التالية :

- الحوار يفترض موقفا محددا من الذات وهذا مما أشار إليه فيلسوف الحضارة توينبي في مجل أرائه إذ يجب أن نكون كما نحن، بكل ما نحمله من توجهات وتصورات وقيم، بحيث نتحاور ونتصل مع أنفسنا بهدف تفادي الوقوع تحت طائلة أي ضغط نفسي كالتردد والتوتر، وعند الدخول في التحاور مع الطرف الآخر يجب طرح هذه الملامح بصورة كلّية فلا نخفي منها أي شيء لأن ذلك يسهل مهمة إيجاد نقاط التشابه والاختلاف.
- يفترض معرفة الطرف الآخر؛ فالحوار لا يكون ممكنا إلا إذا كان هناك اختلاف، فإذا كان النزاع عائقا أمام الاعتراف بهذه الاختلافات فإن الحوار يجعل منها عاملا للبناء يسمح بالوصول إلى اتفاق ما، لأن تقبل الطرف الآخر كما هو يشكل الطريق الوحيد لإمكانية تحويل المواقف المتشددة والرافضة لكل حوار و" أن إدراك الآخر جزء من إدراك الذات، إدراكه كما هو ،ليس كما نريد وإن تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة للتعامل معه[10].
- أن يكون هناك موقف متبادل بين الأطراف المتحاورة، يقول هنتنغتون: "[11] أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها والتي تميز بين البشر عن الأنواع الأخرى
- أن يقوم على ثلاثية المساواة – الحرية والكرامة الإنسانية.
- إيمان المتحاورين بمبدأ التعددية الثقافية والفكرية والدينية.
- الاعتراف بتداول الحضارات وتفاعلها والاستفادة من بعضها ، بمعنى ثقافة وتقدم علمي للجنس البشري

- لكن السؤال المطروح عمليا هو كيف يمكن للمرء أن يدير اختلافه عن سواء، وأن يمارس هويته بصورة عقلانية تواصلية؟، إذ لا يمكن إلغاء الآخر أو رفضه، أو إقصائه من منطلق أن احترام الآخر والقبول به وإكرامه نابع من احترام الذات وإكرامها. إذ "أن قانون احترام الآخر والاعتراف بحقوقه قدر حتمي اعترفت به أم نعترف قبلنا أم نقبل، اكتشفناه أو لم نكتشفه، صالحناه أم خاصمناه، ذلك أنه قانون موجود لحركة الحياة وهو طبيعة الحركة الجوهرية للإنسان "[12].
- فاحترام الآخر والقبول به هو أول خطوات التعايش بين طرفي الثنائية.
- احتفى طه عبد الرحمن بالممارسة الحوارية التي اعتبرها السبيل لأنجع لبلوغ الحق وذلك للمزايا الآتية للحوار[13] :وهي الحوار لا يوجد إلا حيث يوجد الاختلاف في طرق البحث .ذلك أن الوصول إلى الحقيقة يكون بطرق شتى، ومنظورات مختلفة ومناهج متعددة، لأن أصل الحق أن يتغير و يتجدد بالتالي يكون الطريق الموصل إليه متعددا.
- تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة، فئات أو أفرادا يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم ومقتضى هذه المزية أنه كلما كان الحوار بين المختلفين في الفكر والسياسة وغيرها زالت مكامن الخلاف، وساد الود والتقرب بينهم، وبذاك ينزل الحوار منزلة الدواء الذي يشفي من أمراض الاستبداد بالرأي والفكر.
- الحوار يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه، من خلال النظر من جوانب متعددة لزوايا المعرفة، مما يسهم في تقلب العقل وسعته .ولهذه الغايات احتفت كتابات الدكتور طه عبد الرحمن بالمناظرة باعتبارها أجلى ممارسة حوارية هدفها الاشتراك في الوصول إلى الحق، ومنه لابد من إحيائها، والاستفادة من طرقها الاستدلالية والحوارية لمعالجة الكثير من اختلافاتنا الفكرية، بسلطان العقل والحوار، لا بطغيان التسيد والاستبداد.

✓ معيقات الحوار

سنفصل في هذه النقطة في المحاور اللاحقة ويكفي في هذا المقام ذكر بعضها مختصرا للإرشاد والتوجيه فقط ، ومن أهم هاته المعوقات:

1-**عدم الفهم الكامل**[14] ، **بل والمتحيز أحيانا للمعتقدات والمواقف الدينية** ولذلك بقيت إسرائيل حتى الآن تصدر خطاباً سياسياً ينطوي على رغبة كاذبة بتحقيق السلام مع جيرانها العرب وتقدم إسرائيل نفسها للعالم على أنها الدولة الصغيرة المهددة من قبل جيرانها العرب الراغبين في تدميرها وإلقائها في البحر، وأن سياستها تقوم على الدفاع المشروع عن مصالحها وان السياسة الإسرائيلية تقوم على الثوابت التالية:

- ✓ رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ..
- ✓ رفض فكرة تقسيم القدس والتأكيد على اعتبارها العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل .
- ✓ رفض تفكيك المستوطنات في الضفة الغربية وحتى رفض فكرة تجميد الاستيطان.

رفض فكرة حق عودة اللاجئين الفلسطينيين من حيث المبدأ.

2-تأثير مبدأ العولمة والسيطرة الاقتصادية والثقافية ، "وهذا أمر طبيعي باعتبار أن الأديان التقليدية بما فيها المسيحية في الغرب تؤكد على معاني الهدوء والاتزان ولا تشجع كثيرا على التغيير بينما ثقافة العولمة وما بعد الحداثة ثقافة مؤسسة على الشباب والتغير والسلوك الاستهلاكي[15].

3-سيادة نظام القطب الواحد في العالم، إذ نجد الباحثة الفرنسية "صوفي بسيس" في كتابها "**الغرب والآخرين**" ترى أن الحضارة الغربية تشكلت فقط من مرجعية يونانية – ورومانية, مستبعدة المصادر الشرقية أو غير المسيحية مثل " المصرية القديمة، الهندية، أو حتى

الصينية، وتبعاً لهذه النظرية فان أوروبا وريثة الإغريق وروما حصراً ـ ولا يوجد أي نفوذ آخر يلوثها[16]، وللأسف الشديد في مثل هكذا مواقف هكذا تولدت وترسخت في الغرب، في الوعي واللاوعي، ثقافة التفوق، والتي ستتجسد من خلال الهجمة الاستعمارية الأوروبية. أما بعد الحرب العالمية الثانية، بدأ الوعي الغربي يراجع تاريخه عساه يقيم علاقات من نوع آخر مع من اقترف بحقهم جرائم في الماضي وهو بصدد وضعهم تحت مظلته. لكن هذا التطور لم يزحزح القناعة بالتفوق على الآخرين.

4-التسارع في التسلح وبالتحديد المخاطر النووية.

5-الكيل بمكيالين في العديد من القضايا بين الشعوب مما يسبب مزيد من التوتر.

6-الكيل بكيالين في العديد من قضايا الصراع المركزية في العالم.

7-الصراع بين التكتلات المختلفة في العالم (الصين ، أمريكا ، روسيا وغيرها).

8-المعيقات التاريخية المقترنة بأهداف الاستشراق والتبشير المسيحي وأنواع الاستشراق الجديد الخفي.

---

[1] -بلقزيز عبد الإله :**العرب و الحداثة**، دراسة في مقالات الحدثيين ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،2007م، ص47.

[2] -. يوسف الحسن **الحوار الإسلامي المسيحي – الفرص والتحديات** ، دار الكتب الوطنية أبوظبي، ط1، 1997م،ص60.

[3]- علي حرب : **العالم ومأزقه منطق الصدام ولغة التداول** ، المركز الثقافي العربي،ط1، سبتمبر2002م ص277.

[4] -:ابن منظور، **لسان العرب**، باب الراء، فصل الحاء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م، ص455..

[5] – محمد السماك: **مقدمات إلى الحوار الإسلامي المسيحي** ، لبنان، دار النفائس، ط 1، 1998م ، ص77.

[6] -جميل صليبا : المعجم الفلسفي ،لبنان :دار الكتاب اللبناني ،1992،الجزء الأول ،ص 501.

[7] – سامر رضوان أبو رمان :**الأبعاد السياسية لحوار بين الأديان** ، ، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2005م، ص61.

[8] -زيارة الموقع : (الرابط https://taqrib.ir/ar/article/ثقافة-الحوار-في-مواجهة-اختلاف-الأمة

[9]- علي حرب: **العالم ومأزقه ،منطق الصدام ولغة التداول** ، المركز الثقافي العربي،ط1، سبتمبر2002م ،ص288).

[10] – إيهاب النجدي : **صورة الغرب في الشعر العربي الحديث** ،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطن للإبداع الشعري ، الكويت ،2008،ص10.

[11] – صموئيل هنتنجتون، **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**.، ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوة، محمد محمود خلف، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1999م، ص (105

[12]- غريغوار منصور مرشو ، سيد محمد صادق الحسني : **نحن والآخر** ، دار الفكر ، دمشق – سورية ،دار الفكر المعاصر ،بيروت لبنان ، ط1،2001م،ص135.

[13] -Users/twins/Downloads/ الحوار-والحجاج-والتخاطب-الإنساني-عند-طه-عبد-الرحمن.pdf

[14] – مركز دراسات فلسطين والعالم " **الصراع العربي الإسرائيلي في ظل المستجدات الدولية**, سوريا – ريف دمشق .د. ت . د .ن، ص3.

[15] – محمد حسام الدين، **العولمة وصورة الإسلام**، المدينة بيرس، مصر، ط1، 2002، ص.233.

[16]–يمكنكم مراجعة الكتاب صوفي بسيمس، **الغرب والآخرون قصة تفوق**، باريس، دار لاديكوفيرت2001م .

المحاضرة الثانية في مفهوم الحضارة والحوار الحضاري

- **في مفهوم الحضارة:**

يعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في حيث الضبط والتدقيق، رغم الاصطلاح عليه بالمكوث والاستقرار والتواجد بالمدينة والحضر وبأنه معنى لاتيني الأصل، وعلينا بداية الإشارة إلى بعض أسباب هذه الصعوبات والمتمثلة في:

- ✓ تنوع التقاليد الثقافية واللغوية في الحضارات المختلفة ، وبخاصة في التقاليد الثقافية الغربية و الإسلامية.
- ✓ وً ناشئة ثانيا من اختلاف و تضارب التعاريف المختلفة للحضارة في حقول معرفية متعددة.

في اللغة العربية يُقال: حضر يحضر فهو حاضر من الحضور أي التواجد، وقد استُخْدِمَ لفظُ الحَضارة قديما-بكسر الحاء وفتحها- للإشارة إلى "الإقامة في الحَضَر" وهو خلافُ البادية[1]. إن استعمال هذا اللفظ قديم وأن أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون

...وللحضارة عند المحدثين معنيين، معنى موضوعي وآخر ذاتي... أما المعنى الموضوعي فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعملي والتقني ... وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش أو تطلق على الصورة الغائية التي نستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة.

ورد في المعجم الفلسفي ل "جميل صليبا " أن مفهوم الحضارة: " الحضارة هي جملة مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة و

هناك حضارات قديمة و أخرى حديثة شرقية و أخرى غربية و الحضارات متفاوتة فيما بينها لكل حضارة نطاقها (aire) و طبقاتها (couches) و لغاتها (Langues) بمعنى ربط الحضارة بالتقدم و الرقي العقلي و المعنوي معا ،كما أن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وانما تتألف الحضارة من عناصر أربعة الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهه للمضي في طريقة إلى فهم الحياة وأزهارها.

أما تعريف الحضارة في اللغة الأجنبية، فإننا نجد أصلها منبثقا من الجذر اللاتيني Civis /Civitas/civilis/ ونجد أن الكلمة ظهرت في اللغة الفرنسية في عصر الأنوار، عام **1734**م، وهي مشتقة من صفة"civilisè متحضر، ومن الفعل "تحضر"civiliser. في القرن الثالث عشر ميلادي. وكلها تعني مدني- مواطن- ساكن المدينة-و ما هو خلاف الوحشية والتخلف والهمجية، ومنه كانت سمات الرجل المتحضر تعني صفات الرجل الاوربي في القرن الثامن عشر الميلادي.

وفي قاموس"l'arousse " ورد تفصيلا أن الحضارة: "مجموعة الميزات والقيم الشاهدة على درجة التقدم الإنساني، وتطور المجتمعات الايجابي".

أما في اللغة الإنكليزية فالحضارة civilization تشير إلى "مرحلة متقدمة من التنمية الاجتماعية الإنسانية مع مستوًى عالٍ من الفن والدين والعلم والحُكم واللغة المكتوبة ..إلخ" كما تشير إلى "سمة المجتمع المتقدم في مكان وزمان معينين[2].

وعلى حد تفكير الألماني ألبرت اشفيتسر في كتابه "فلسفة الحضارة"، وغيره كثيرون من فلاسفة الغرب فإن الحضارة هي بذل المجهود بوصفنا كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم.

وربط قاموس أكسفورد الحضارة بمجموعة عوامل متكاملة يزول معها التحضر وهي:

- ✓ وجود المدينة أو ما يعرف حاليا بالمناطق العمرانية الآهلة للعيش الكريم.
- ✓ المواطن الذي يمثل جوهر المجتمع المدني.
- ✓ الكياسة واللطف وحسن الجوار والتعايش مع الآخر احتراما وتهذيبا.
- ✓ ارتفاع النمو الثقافي والفكري والتنويري.

وعليه تصبح الحضارة "مرحلة متقدمة من النمو الفكري والثقافي والمادي في المجتمع الإنساني"

أما المفكر المعاصر علي شريعتي يصطلح على أن : " الحضارة هي عبارة عن حالة روحية و درجة معنوية و فكرية ، و يمكن أن نفهم هذه الحضارة من خلال طريقة التفكير و العقيدة و الثقافة و درجة الإحساس ، و بعد النظر في الكون و الضمير الاجتماعي و نسبة المعرفة الدينية و الإحساس بالمسؤولية و الهدف ، و كذلك الفكرة المعرفة السياسية للأفراد ، حتى لو كانت الحياة المادية و التكنولوجية في مستوى غير مطلوب [3]". فهو في مقياس حضارة أي شعب أو درجة تحضره يعطي الأولوية للمظاهر الفكرية على المنتجات المادية ، و هو ما يناقض العقلية المادية و الآلية التكنولوجية التي يتبناها الغرب اليوم ، فشريعتي لم يتجاوز البعد الإنساني و هو البعد الروحي ، كون الإنسان هو الفاعل الحضاري فلا يمكنه إنتاج حضارة تتنافى مع طبيعته الإنسانية ، فالفكرة و العقيدة و الثقافة و الضمير و المعرفة و المسؤولية كلها بإمكانها أن توفرت في الذات أن تبدع ابتكارات مادية و وسائل تسهل الحياة على الإنسان دون استيراد منتج حضاري ، و التغني إننا وصلنا إلى غاية التحضر .

و من زاوية أخرى يرى " شريعتي " أن الحضارة تتلخص في جملة من : " البناءات و العطاءات و الذخائر المادية و المعنوية للمجتمع الإنساني، نقول البناءات الإنسانية نعني تلك الأمور غير الموجودة في الطبيعة في الحالات الاعتيادية ، بل إن الإنسان بتدخله وسعيه هو الذي يوجدها ،... أما الذخائر المعنوية أو الإنسانية فهي عبارة عن مجموعة من التجارب والعطاءات والمعلومات والمعاهدات والاكتشافات الإنسانية التي حدثت في الماضي والتي خلفها لنا الآخرون

.." حيث يبين لنا هنا أن الفكرة و المادة و المباني و المعارف و السيارات و المستوى العلمي و التكنولوجي ما إن تفاعلت إلا أنتجت لنا حضارة إنسانية متكاملة، و الحضارة قد تصل إليها عن طريق موروث حضاري من الماضي، و في هذا الصدد " شريعتي " يؤمن بالتواصل و الحوار بين الحضارات عكس الصدام الحضاري و هنا أيضا اعتراف باطني بضرورة التلاقح بين الأفكار بين العرب حتى و إن اختلفت انتماءاتها أو ما يسمى بالاعتراف بالآخر كما أنها قد تكون نتيجة لإبداع أو ابتكار و تفنن ذاتي لا علاقة لها بأي ماضي حضاري، بعيد عن تأثير الآخرين مهما كان مساوي للتحضر الذي يحظون به، أي إبداع شخصي خاص بإمكاننا أن ننسبه للحضارة التي ينتمي إليها هذا الإنسان.

لا بدّ أن يكون هناك صفات للحضارة، وهذه الصفات تتمثّل فيما يأتي:

- إنّ الحضارة تتغيّر تدريجيّاً وليس بشكلٍ مفاجئ.
- من صفات الحضارة أنّها حضارةٌ إنسانيّةٌ، أي أنّها تختصّ بالإنسان دون غيره من الكائنات، وهذا ما يجمع بين مختلف الحضارات على الرغم من اختلافها عن بعضها البعض.
- إنّ الحضارة موجودةٌ في عقل الإنسان وتفكيره الذي يجعله يعلم أنّ ماضيه مرتبطٌ بحاضره. قد تأخذ الأمّة بعضاً من حضارات الأمم الأخرى.
- إنّ الإنسان لا يستطيع الابتعاد أو الهروب من مظاهر الحضارة التي يعيش فيها أو يحتكّ بها.

و يعد عبد الرحمن ابن خلدون* أول من عالج شؤون الحضارة العربية بصورة علمية تحليلية منظمة فيما أسماه بعلم العمران البشري و الاجتماع الإنساني، فلقد بلور ابن

ابن خلدون" هو "عبد الرحمان بن محمد بن خلدون" (784- 808 هـ) عالم اجتماع ومؤرخ وفيلسوف، ولد بتونس، ويعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، اشتهر بمقدمته (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

خلدون مفهوم الحضارة عند العرب على أنها " نمط من الحياة المستقرة الذي يناقض البداوة، فينشئ القرى و الأمصار و يضفي على حياة أصحابها فنونا منتظمة من العيش و العمل و الاجتماع و العلم و الصناعة و إدارة شؤون الحياة و الحكم و ترتيب مسائل الدعة و أسباب الرفاهية ".

و بالتالي فهي بالنسبة إليه طور طبيعي من أطوار المجتمع البشري مثلها في ذلك البداوة و لكن البداوة أقدم و هي أصل الحضر و الحضارة غاية البداوة ، و يرى ابن خلدون أن المجتمع إذا بلغ درجة التحضر أو الحضارة و انغمس في نعيمها فسدت أخلاقه و آذن بانهياره .إذ يرى في مقدمته و لاسيما في الفصل الرابع عشر (في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص) :" **إن الدولة تمر بثلاث أطوار و هي البداوة و التحضر و التدهور، و كل منهما متواصل مع الآخر و بإفراط الملك و السيطرة التي كان يطمح لها البدو ، صفتهم القبلية و العصبية و هذا الملك و الحكم بطبعته يستدعي الترف و الدعة و بالترف ستكون الدولة في طور الحضارة و ذلك الترف هو ما يجعلها آيلة إلى الانهيار و السقوط** ".

لكن ما يفهم من فكرة ابن خلدون هو الإفراط في الترف و ليس بداية الترف الذي اعتبره يزيد الدولة قوة إلى قوتها، فيرى أن هناك مجموعة من العوامل تساعد في قيام الحضارة منها العامل الطبيعي و الجغرافي بالإضافة إلى الثروة و سياسة ينتظم بها العمران. و سقوط الحضارة بالنسبة إلى ابن خلدون راجع إلى تلاشي تلك العصبية البدائية و الانغماس في الملذات و الترف.

هذا وقد أسس مالك بن نبي مشروعه الخاص حول مفهوم الحضارة، فقد تناولها من مختلف النواحي و اتخذ نوعين من التعريف للحضارة التعريف التحليلي و التعريف الوظيفي:

- **التعريف التحليلي**: و من خلال هذا التعريف عرف أن كل ناتج حضاري تنطبق عليه المعادلة الرياضية التالية: " **حضارة=إنسان +تراب +وقت**". و تشير هذه الصيغة التحليلية إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات و إنما بأن نحل هذه المشكلات من أساسها[4]." فالإنسان

– صاحب المنجز الحضاري – باعتباره ذاتا واعية بإمكانها أن تحرك عجلة التاريخ ما أن توفر فيها الوعي و متى وجدت الوقت المناسب بالإضافة إلى توفر عنصرا حضاريا أخر ألا وهو التراب باعتباره احد أطراف المعادلة الحضارية الذي لا يمكن الاستغناء عن أي طرف فيها . كما اعتبر مالك بن نبي أن هذه العناصر لا يمكن أن تنتج حضارة و هي منفصلة عن بعضها كما يضيف إليها الفكرة المركبة و هي الدين، فهو مركب القيم الاجتماعية.

ومنه يرى بن نبي انه لا تقوم حضارة ما بدون تفاعل العناصر الثلاثة بواسطة الدين، حيث أن الدين هو المركب الأساسي لهذه العناصر، فالفكرة الدينية لها أهمية كبيرة باعتبارها الحاضنة أو الوسط الذي تتفاعل فيه مكونات الحضارة و هذا ما أكده لنا الدكتور سليمان الخطيب في قوله : أن الفكرة الدينية لابد لكي تكون أكثر فعالية ، أن تكون هي المعبرة عن ذاتية الحضارة و عن جوهر مسارها ، و أن تكون هي العنصر المهيمن على هوية المنتمين إلى هذه الحضارة ،و في الوقت ذاته الأداة التي تستطيع من خلالها الحضارة مواجهة كافة التحديات ."

- **التعريف الوظيفي**: و من زاوية أخرى يعر بن نبي الحضارة فيقول: "الحضارة يجب أن تحدد وجهة نظر وظيفة، فهي مجموعة الشروط الأخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة غلى الشيخوخة المساندة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه ." والمقصود من ذلك أن وظيفة الحضارة هي تقديم الضروريات لكل أطوار نمو الإنسان بدون إهمال لأي طور بدء من الطفولة مرورا بالشباب إلى الكهولة وصولا إلى الشيخوخة أو بمعنى أدق هي العناية بالإنسان في مختلف أطوار حياته التي يمر بها.

أما ويل ديورانت* يعرف الحضارة في مطلع كتابه " **قصة الحضارة** " بقوله : نظام اجتماعي يعين على الزيادة من انتاجه الثقافي ، و هي تتألف من عناصر اربعة: الموارد الاقتصادية و النظم

* ويل ديورانت: وليام جيمس ديورانت(1885-1981)، فيلسوف و مؤرخ و كاتب أمريكي من اشهر مؤلفاته كتاب "قصة الحضارة " و الذي شاركته زوجته اريل ديورانت في تأليفه.

السياسية و التقاليد الخلقية و متابعة العلوم و الفنون ". فالحضارة بالنسبة إلى" ويل ديورانت " هي نظام اجتماعي يجمع كل مظاهر المجتمع من اقتصاد و سياسة و تقاليد و أخلاق ، كما انه لا يفرق بين المدنية و الحضارة فقد اعتبرهما شيء واحدا و يتبين ذلك من خلال الشمولية التي اتسم بها تعريفه، بحيث هذا التعريف يعكس المفهوم الأمريكي للتطور المبني على الثقافة كسلوك للرقي الاجتماعي و الازدهار الاقتصادي .

إذا انتقلنا إلى تعريف " **توينبي** "* فسنجد أن المتأمل في أعماله أن معظمها يسلط الضوء على مفاهيم الحضارة و التي تتمثل عنده في "مجتمع Société" و " مجتمعات Sociétés " و"حضارات Civilisations" و " حضارة Civilisation" بحيث يقول هي : "كيان اجتماعي موحد قابل للفهم بمعزل عن جميع الظواهر الاجتماعية التي قد تبرز في بعض أجزاء هذا الكل الاجتماعي العضوي فهي وحدة حضارية تهيئ للدارس أن يفهمها فهما يعبر منه إلى تعيين وتحديد عوامل نشوء هذا الكل وعوامل اندثاره أيضا".

فالحضارة عند توينبي هي الوحدة الأساسية للدراسة التاريخية حيث يرى أن المجتمعات البدائية تخضع لمجوعة من التحديات الصعبة والتي يقابلها في ذلك مجموعة من الردود أو الاستجابات فتكون هذه التحديات بمثابة حافز للانتقال من الحالة البدائية إلى الحالة الحضارية.

وبالتالي يمكننا القول أن الحضارة في مفهومها العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته كان المجهود المنبوذ للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود و سواء كانت مادية أم معنوية لذلك فانه لا مجال للشك في أنها هي أعظم عمل اجتماعي أنجزته البشرية حتى الآن. لهذا قيل أن: " **الحضارة صفة يتصف ويتميز بها الإنسان بوجه عام فهي التي تميز المجتمع الإنساني عن نظيره الحيواني**".

*ارنولد توينبي: (1889-1975) فيلسوف انجليزي من اهم كتبه : "دراسة للتاريخ"

بن نبي يعتبر الحضارة هي غاية التاريخ، ذلك أن "غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية، هو ما نطلق عليه اسم الحضارة" . فالتاريخ حينما يحقق غايته، يحقق شكال من أشكال الحياة الراقية في مجتمع ما، وهذه هي الحضارة من الوجهة الغائية[5].

- شروط الحضارة ومستلزماتها :

الاستقرار: إنَّ استقرار الأمة أهم عوامل الازدهار والرقى الحضاري ونعني بالاستقرار عدم التنقل من منطقة جغرافية إلى أخرى، بحثا عن العمل أو عن الثروات ومن شروط الاستقرار السيادة والاستقلالية وتحقيق كل أنماط ومستويات الأمن .

التعاون: ويقصد به تضافر الجهود بين مختلف شرائح الأمة وقد اعطى ابن خلدون مثالا راقيا حول تعاون بنوا الجنس الواحد في تحصيل لقمة الخبز وأوصانا الدين الإسلامي بالتضافر والتعاون والتلاحم كأعضاء الجسد الواحد.

التواصل مع المحيط الداخلي والخارجي والتحلي بروح العصرنة في استخدام تقنيات العيش الرغيد وتكنولوجيات التواصل على جميع الأصعدة.

تجديد فعل اكتساب المهارات باستمرار ودون رجعة مع الحفاظ على قيم الهوية والذات لفاعلة المتفاعلة .

السير نحو الإنسانية المطلقة، والمواطنة العالمية بعيدا عن التوحش والهمجية والتطرف.

[1] – حمودة، عبد الحميد ، **الحضارة العربية الإسلامية و تأثيرها العالمي**، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، د.ت، ص9

[2]– Procter, Paul & others : Longman dictionary of contemporary English, Beirut, Librairie du Liban, 1984, p.188& 189.voir :le petit la rouse illustrè,paris,p251 .2007).

[3] – علي شريعتي: **تاريخ الحضارة**، تر: حسين نصري، ط2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 2007م/1428هـ، ص 94.

[4] – مالك بن نبي: **شروط النهضة** ، تر : عبد الصبور شاهين ، ط4، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1986، ص 45.

[5] –مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية**. تر : عبد الصبور شاهين دمشق، دار الفكر.1986،ص18.

المحور الثاني منطق العلاقة بين الحضارات

المحاضرة الأولى حوار الحضارات لروجي غارودي(1913-2012)

مدخل عام :

تعتبر قضية الحوار بين الحضارات أو الثقافات مطروحة في الفكر الإنساني منذ قرون بعيدة، فهي "**تقليد قديم في أزمنة السلم وأوقات الحرب**"، إلا أنها أخذت أبعادا جديدة خلال النصف الأخير من القرن الماضي نتيجة للتطورات في العلاقات السياسية والثقافية بين الشعوب، مما جعل للحوار الحضاري أهمية خاصة باعتباره هدفا في ذاته وباعتباره عنصرا مؤثرا في مجمل العلاقات بين الأمم والشعوب

وتعتبر أطروحة روجي " غارودي "* من أوائل الأفكار التي قدمت لتبني فكرة الحوار الحضاري بشكل واضح وذلك في كتابه "في سبيل حوار الحضارات" الذي صدر في طبعته الفرنسية سنة 1977م، ومن ثم ترجم إلى العربية بعد ذلك بعام واحد

وقد انتقد "غارودي" في كتابه سلوك الغرب، وعلاقته بالأمم والحضارات الأخرى، ودعا الغرب أن يعيد النظر إلى ذاته وإلى الآخر الحضاري، ودعاه إلى إحداث تغيرات جذرية في علاقاته الدولية

* روجي غارودي: (1913-2012م)، مفكر و فيلسوف فرنسي اعتنق الماركسية ثم المسيحية ثم الاسلام وله مؤلفات عديدة منها: كيف صنعنا القرن العشرين، الارهاب الغربي.

والحضارية من خلال الأخذ بحوار الحضارات والعمل باتجاه ما يعرف بالسلم العالمي الذي يمكن أن يولد مشروعا كونيا ينسجم مع المستقبل.

كما دعا " غارودي " قبل إسلامه وفي مجلة البدائل الاشتراكية إلى وحدة الأديان السماوية وأطلق عليها الديانة الإبراهيمية–على اعتبار أن أصلها واحد– وبناءً على دعوته تمّ تأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات.

إلا أنه يمكن القول أنّه لم يتفاعل كثيرا مع طرح " غارودي " ولم تأخذ أقواله في هذا المضمار أبعادا كثيرة، وبقي الحديث عن حوار الحضارات، حديث خافت إلى أن خرج هنتنجتون بنظريته في الصدام الحضاري، مما أعاد الحديث والاهتمام إلى مقولة "الحوار الحضاري" من جديد وبشكل قوي وذلك في سياق الاعتراض على تلك الأطروحة، وكرد فعل ضدها، وهكذا أصبحت تستخدم في وسائل الإعلام، وعند الكتاب والمؤلفين وحتى المسؤولين مقولة "حوار الحضارات بدل صدامها" على اعتبار أن مقولة "حوار الحضارات" هي المقولة الجاهزة والاعتراضية لمقولة الصدام.

وكان لمبادرة الرئيس الإيراني " محمد خاتمي "، بدعوته لحوار الحضارات في خطابه للأمم المتحدة في عام 1998 أثرا كبيرا على سير عمليات الحوار إذ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة على إثر ذلك قرارها رقم 22 في دورتها رقم 53 في 4 نوفمبر 1998، بإعلان عام 2001 عاما للحوار بين الحضارات، وقد اعتبر هذا القرار ردا عمليا على دعاة الصراع والصدام بين الحضارات، وعلى القائلين بنهاية التاريخ وبانتصار حضارة على الأخريات. ومنذ تبني هذا القرار عمد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى تقديم تقارير بشكل متواصل للجمعية العامة، والتي بدورها أعدت لعام حوار الحضارات ورتبت الأنشطة المتصلة به وطالبت بإسهامات الدول والمنظمات الغير حكومية بهذا الشأن، كما شكر فريق خبراء من كافة الحضارات لمتابعة هذا المؤتمر

ومن خلال استعراض قرارات الجمعية العامة السنوية منذ عام 1998 يلاحظ تزايدا مطردا في عدد الدول التي تبنت مشروعات القرارات حول حوار الحضارات، بما فيها دخول بعض الدول التي آثرت في البداية الابتعاد ربما توجسا مما يتعلق بتلك القرارات كأمريكا مثلا.

وقد أعادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م والتي وقعت في نيويورك بواشنطن أطروحة " هنتنجتون " حول "صدام الحضارات"، كما أعادت كذلك- ومن جهة نظر الكثيرين- تزايد الوعي العالمي بقضية تسوية ومنع المنازعات من خلال إرساء أسس جديدة للعلاقات الدولية تأخذ بالاعتبار التعددية الثقافية والاعتراف بالآخر وإقامة الحوار معه، مما أدى إلى تنامي الدعوة إلى أهمية الحوار بين الحضارات والأديان وتسريع وتيرة المبادرات الفكرية والنماذج التطبيقية لحوار الحضارات، والتخفيف من حدة الاختلافات، وإبراز القضايا المشتركة بما يكفل منع المجابهات والعداءات ومما يؤسس للتعايش السلمي ويعمل على تحقيق السلام والاستقرار.

1. المحاضرة الثانية مبادئ وأسس الحوار الحضاري ومنطلقاته:

لقد عرفت الحضارات طوال مراحل التاريخ تفاعلات تراوحت بين الحوار والصراع والتعايش وكثيرا ما كانت علاقة التفاعل علاقة مثاقفة، إلا أن الصراعات التي شهدها العالم الحديث والمعاصر وكثرة الحروب قد دفع بفكرة الحوار أكثر إلى الواجهة، فكانت بالتالي عدة مبادرات منها: "المبادرة الألمانية التي أطلقها الرئيس الألماني هيرتزوج وتبناها الرؤساء الذين جاؤوا من بعده، وقد اقتصر الحوار بين الحضارتين الإسلامية والغربية الأوروبية".

ومن هنا فقد كانت العلاقة بين الغرب والإسلام علاقة متميزة، على مر مراحل التاريخ وتراوحت بين الحوار والصدام، ولو عدنا إلى الحوار في الحضارة الإسلامية لوجدنا أن الإسلام دعا إلى الحوار والتعايش، فقد كان غير المسلمين يعيشون في أرض الإسلام وكان أهل الأديان الأخرى يمارسون عقائدهم في ظل حكم الإسلام، كما أن الكثير من مفكري الغرب يشهدون بأن الحضارة الغربية قد أخذت الكثير من الحضارة الإسلامية، وما الصراع الذي كان بين الإسلام والغرب في التاريخ إلا حالات عابرة، زال فيها الحوار وطغى فيها التعصب الديني والمذهبي، فالغرب المعتمد على ديانته المسيحية يؤمن بأن الدين المسيحي دين تسامح وسلام، والإسلام يحمل نفس المنطلقات فهو يدعو إلى التسامح والتعايش والتعارف والحوار مع كل الديانات والملل ومع غير المسلمين، والتاريخ الإسلامي مليء بالنماذج الحوارية الراقية، فقد دعا الإسلام إلى الحوار البناء وعدم التعصب للرأي، وقد حاور الله أنبياءه، بل وحاور إبليس، كما حاور الأنبياء أقوامهم، وحاور رسول الله قومه، وقد عرف تاريخ الحوار مراحل تفعيل وممارسة، كما عرف انتكاسات وتراجعات.

وبقيت فكرة الحوار بين التأييد والرفض، بين التنظير والممارسة، حتى العصر الحديث والمعاصر، وبعد أن عرف العالم تاريخ جديد بدأ بغزو العولمة لكل الأمم ونهاية صراعات وبداية صراعات من نوع جديد، عادت الدعوة إلى فكرة الحوار الحضاري من جديد.

و تعددت الافكار ووجهات النظر عن كيفية الحوار، و عقدت مؤتمرات دولية عدة بشأن ذلك ، و قد كانت افكار و أطروحات كل من المفكر الفرنسي " روجي غارودي " والرئيس الايراني " محمد خاتمي" اكثرا رواجا، إذ نال مشروعهما دعما سياسيا و ماليا كبيرا و ذلك للمكانة الفكرية للاول و المشروع الفكري الوحيد للرد على "صمويل هنتغتون" من داخل العالم الإسلامي بالنسبة للثاني".

فبعد ذلك المبادرة اليابانية التي تبناها الرئيس الياباني "يوهاي كونو" للحوار بين الحضارة الإسلامية واليابانية والتي تميزت بطرح فكرة التعايش الثقافي والتقني ثم جاءت المبادرة التركية التي تبنتها تركيا، فلقد كانت بين تركيا و منظمة المؤتمر الإسلامي، أي انها جاءت بطابع مؤسساتي، وقد نتج عن هذه المبادرات أن عقدت أولى جلسات الحوار بالمنامة في ربيع 2002 وتعددت الأطراف المتحاورة من الجانبين، وطرحت فيها قضايا المرأة والأقليات، والتطرف والاستعلاء الحضاري وغيرها، وبعدها مباشرة اتضحت بعض ملامح الحوار بين الحضارات، و في هذا الصدد عرض المشتغلين بأطروحة حوار الحضارات بعض الإشكاليات ذات الطابع الجدلي في تركيبها، و التي لابد من التصدي لها حتى يتحقق فعالية الحوار ومنها:

" **أولا**: الحاجة للوصول إلى حالة توازن بين الحوار فيما بين حضارات مختلفة، وبين الحوار داخل الحضارة الواحدة بين أنساق فرعية حضارية وثقافية.

ثانيا: توحيد الحاجة لتحقيق صيغة ما تضمن التوازن بين الطابع المقيد للمشاركة في بعث مبادرات الحوار، وبين الحاجة لمظلة عالمية للحوار، حيث نلحظ غياب الولايات المتحدة الأمريكية وهي القوة العظمى الوحيدة في عالم اليوم عن كافة المبادرات....

ثالثا: يتأكد بمرور الوقت... الحاجة لضمان مشاركة فعالة وذات طبيعة مترابطة في مبادرات حوار الحضارات...

رابعا: أثبتت الأحداث منذ 11 سبتمبر 2001 وتداعياته أن مسألة حوار الحضارات ليس ترفا ثقافيا...

خامسا: الحضارة الواحدة قد تظم أكثر من قبيلة أو مدينة أو أمة أو عرق أو دين، أو قومية أو مجموعة أعم، وفي كل الأحوال المحصلة النهائية هي وحدة الجنس البشري والإنسانية في مجموعها...

سادسا: أنه في إطار كل حضارة يوجد تنافس بين الإطلاق والنسبية...

سابعا: أن العلاقة بين الحضارتين الإسلامية و الغربية ليست بالتأكيد في أفضل أحوالها...

ثامنا: أنه على الصعيد العملي فإن هناك دورا منوطا بالمسلمين والعرب في بقية أنحاء العالم خاصة المقيمين منهم في الغرب بهدف تجاوز تداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001.

هذه هي الإشكاليات التي يجب أن تحسم قبل أن تنطلق فلسفة الحوار بين الحضارات، ولو أنها إشكاليات بحاجة إلى فعل وجهد لتجاوزها ولتهيئة أرضية صلبة للشروع في مشروع حوار الحضارات، من أجل أن يتحقق هذا المشروع الأهداف المتوخاة والنتائج المرجوة، من هنا يمكن أن نؤكد أن حوار الحضارات يجب أن ينطلق من فكرة الحوار بحد ذاته، ولا يجب أن نجعله كوسيلة دفاعية أو رد فعل على فكرة الصدام بين الحضارات، وخاصة بين الغرب والإسلام، كما يجب التأكيد على أن فلسفة الحوار الحضاري لا تعني العالم الإسلامي والغربي فقط، بل تعني الإنسانية ككل، وإن محاولات حصر الحوار أو الصدام بين الغرب والإسلام هي محاولات لتظليل الرأي العالمي عما يجري في العالم وربما هي دعوة صهيونية، تريد من خلال هذا الحصر أن تعتلي سلم الدول القوية على أنقاض الصراع بين الغرب والإسلام.

كما تبنت المنظمات الرسمية والحكومية وغير الحكومية مقررات حول الحضارات كجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وعقدت الملتقيات والندوات الفكرية التي تناقش المشروع ثمنت قضايا الحوار و منطلقاته، من حيث أنه ينبذ كل أشكال العنف في حل القضايا العالمية والتدخلات العسكرية، ويدعو إلى التسامح والاعتراف بحقوق الأقليات وحقوق الإنسان، وإشاعة ثقافة السلام، واحترام سيادة الدول وغيرها.

وككل أطروحة فإن أطروحة حوار الحضارات انطلقت من فعل التنظير، فكان أن وضع المنظرون لهذه الأطروحة شروطا ومنطلقات حتى يتحقق فعل الحوار، وتتجسد المقررات، وتستنتج النتائج، حيث يرى الكثير بأن منطلقات الحوار الحضاري البناء هي:

"1- ان يكون الحوار قائما على الحيادية ، بعيدا عن التعصب.

2- ألا يقوم على الروح التنصيرية...

3- السعي نحو الحريات الديموقراطية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

4- تفعيل البيان العالمي لحقوق الإنسان وتعميمه لا تخصيصه.

5- أن يحترم الحوار المرجعيات والخصوصيات الثقافية والابتعاد عن التسلط وإلغاء الآخر.

6- أن يتبنى قاعدة (المعرفة والتعارف والاعتراف) وينطبق منها في سبيل التقارب ومعرفة ما عند الآخر معرفة جيدة".

إنها المنطلقات المشتركة التي يجب أن ينطلق منها كل فعل حواري حضاري، فهي بمثابة الأسس والمبادئ والمنطلقات لتحقيق حوار حضاري فعال وناجح، يقضي على كل أنواع الصراع والصدام بين الحضارات، ويوجد أرضيات للتفاهم والتعاون والتعارف بين الحضارات، بالرغم من ان الاخر يرى ان هذه الأسس والمبادئ عبارة عن إملاءات من طرف أضعف حضاريا وعسكريا، كما

أن فالغرب ينظر الى الحوار بأنه طريق يهدد بقاءه ووجوده، ومن ثمة فهو فعل من طرف الآخر للحاق بالحضارة الغربية ورغم ذلك فإنه قد تعالت في الغرب أصوات تدعوا إلى الحوار مع باقي الحضارات حتى غير الإسلامية، رغم وجود رأي معارض لفكرة الحوار، لأن الحوار يقتضي الندية، بمعنى أن يكون هناك طرفان كل منهما ند للآخر، وهذا الشرط في اعتقاد الكثيرين غير متوفر، مادام هناك قوي وضعيف لأن القوي في هذه الحالة سيملي شروطه على الضعيف مما يفقد الحوار مصداقيته وأهدافه، بالإضافة إلى ضرورة تحديد قضايا الحوار المختلف حولها، وحتى لا تقع فيما يسمى بحوار الطرشان، كما يجب تحديد الأهداف المتوخاة من الحوار حتى لا ينحرف عنها أي طرف، هذه هي الشروط العامة لمنطلقات الحوار.

أما "محمد خاتمي" مُحيي أطروحة حوار الحضارات، فله طرح أعمق فيما يخص الشروط و المنطلقات والمبادئ التي يمكن أن تجسد فعلا مشروع الأمل، مشروع الحضارات،إذ يصف القرن العشرين بانه قرن الحروب و التجاوزات، فالفكر كان في خدمة السياسة و المصالح الاقتصادية فتعالوا اذن لنضع ايدينا بعضها في البعض و لنجعل السياسة في خدمة الفكر تعالوا لنتحدث في القرن الحادي و العشرين بلسان الفكر و لنتمنى السلام و الهدوء في جميع العالم.

وعليه فالرفع من مستوى الحوار بين الحضارات يكون بالرفع من قيمة المشتركات الإنسانية والوعي بالهدف من الحوار، ومن المخاطر التي تحدق بالإنسانية، كما أن خاتمي قد نبه الإنسانية إلى أن الحوار يجب أن يبدأ مع الطبيعة أولا ثم ينتقل إلى مستوى ذاتي فيما يسمى بالحوار بين الذات وذاتها، ثم الحوار مع الغير، وبعدها الحوار بين الحضارات والثقافات.

إلا أن بعدها يعود "خاتمي" إلى قضية المنطلقات الفعلية لتحقيق حوار حضاري جاد وفعال فيؤكد على أن تحقيق السلام من بين أهم المنطلقات، بالإضافة إلى ذلك إشاعة روح التسامح، ففلسفة السلام بين الشعوب هي ما يمكن أن يخلق فعل تواصلي وتثاقف إيجابي بين الثقافات

والحضارات، لأن القضاء على بؤر الصراع ومنطلقات الصدام والتشنجات بين الأمم من منطلقات السلام والتعايش والتفاهم، ولأن الإنسان المعاصر "يحمل حاجة ماسة وعطشا شديدا للعدالة والسلام والحرية والأمن... من أجل تحقيق حوار الحضارات، فهو بحاجة إلى السلام وبعدها يتحقق الحوار فإن ذلك من شأنه أن يديم السلام".

و من هذا المنطلق نادى "غارودي" بقيام ثورة ثقافية عارمة، لتسيير الحوار بين الحضارات، ويبرز لنا أهم شروطها:

" 1-أن تحتل الحضارات غير الغربية في الدراسات مكانة متساوية في الأهمية، على الأقل مكانة الثقافة الغربية.

2- أن يحتل علم الجمال مكانة على الأقل في مثل أهمية تلقين العلوم والتقنيات.

3- أن يكون للمستقبلية، وهي فن تصور المستقبل والتفكير للغايات ما للتاريخ من أهمية على الأقل."

و بالتالي فهذه الشروط تنم عن نظرة شاملة وأفق واسع إلى فلسفة الحوار وفلسفة الحضارة، تجعل من الحضارات كلها مشاركة في البناء الحضاري، متجاوزا الطرح الغربي الذي يرجع كل ما أنتج في هذا العصر لحضارة واحدة، ألا وهي حضارة الغرب، وهنا يأتي دور الفلسفة حيث يدعو "غارودي" إلى أن ينظر إليها نظرة جديدة، على أساس أنها تمثل العقل والحوار والمنطق، فهي التي ترفع من مستوى الحوار ليصل إلى درجة العقل والمعقولية دون نزعات إيديولوجية، كما أن الفلسفة تمتلك الوسيلة الأساسية في الحوار ألا وهي النقد، والنقد نوعيه الذاتي والخارجي مساعد على الوعي واكتشاف الذات بل واكتشاف الأخطاء وتصحيحها، ويضيف "غارودي" إلى كل ذلك أن يهتم

الإنسان بالعلوم الروحية والجمالية والإنسانية، وألاّ يعلي من قيمة العلوم التقنية والمادية على حساب الأولى.

وبالتالي يمكن ان القول أن الحوار بين الحضارات فعل متجدد، تشارك فيه كل الشعوب والأمم وتحمل همه كل الحضارات، من أجل الوصول إلى الرقي بالقيم الإنسانية المشتركة، وهذا من أجل تكريس فلسفة التسامح والسلام والتفاهم والتعايش، مرورا بالتعارف.

2. المحاضرة الثالثة نقد نظرية حوار الحضارات:

مع التداول الواسع لمفهوم حوار الحضارات، دخل هذا المفهوم دائرة الفحص المعرفي، للنظر في بنيته وتركيبته اللغوية والمعرفية، وهذه هي أول مرة يحصل فيها فحص هذا المفهوم في المجال العربي.

ونتيجة لهذا الفحص بدأ النقد يتجه لهذا المفهوم، ويتعدد في جهات مختلفة، منها ما يتصل بتركيبة المفهوم وطريقة اختراعه وصياغته، ومنها ما يتصل بإمكانية تطبيق هذا المفهوم والالتزام به فعليا، ومنها ما يتصل بطبيعة الأرضيات والسياقات الموضوعية، وهل هي مساعدة في تقبل هذا المفهوم وتجسيده أم لا ؟

ومن صور هذا النقد إن الدراسات والأبحاث التاريخية والأنتروبولوجية* المقارنة للحضارات ،لم تستعمل مصطلح أو تسمية حوار الحضارات، وهي الدراسات التي بحثت مختلف أشكال وصور العلاقات بين الحضارات، إذ استعملت تسميات أخرى، كتعاون الثقافات عند" شتراوس"*، وتفاعل

* الأنتروبولوجيا : هي علم الإنسان ، ونحتت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما :anthopos ومعناها الإنسان ،و logos ومعناها علم ، ومنه المعنى اللفظي لاصطلاح الأنتروبولوجيا anthopology هو علم الإنسان .

*"ريتشارد شتراوس" (1864/ 1949م) ، مؤلف موسيقي ألماني ،كان أول مؤسس المدرسة الحديثة التي أثارت ضدّ المحافظين .

الحضارات عند "قسطنطين زريق"*، إلى غير ذلك من التسميات ،الأمر الذي يدعو إلى مساءلة لتسمية حوار الحضارات .

وأما من جهة الأرضيات والسياقات، فليست هناك إمكانيات فعلية للنهوض بحوار الحضارات ،لأن الغرب الذي يفترض فيه أن يكون طرفا أساسيا في أي حوار من هذا المستوى ،ليس على استعداد لأن يدخل في حوار متكافئ مع الحضارات الأخرى ،وهو صاحب الحضارة الغالبة والمهيمنة على العالم ،والمستحوذة على ثرواته . وحتى الحضارات الأخرى فليست لديها القدرة والإقناع في أن تدخل في حوار متكافئ أو متوازن، أو في شراكة فعلية أو عادلة مع الغرب، ما لم يقتنع الغرب بتقدمها وتفوقها ،وبالحاجة إليها وإلى شراكتها الحضارية .

غياب الندية في الحوار لان معطيات الحوار الحضاري في الوضع الراهن تجعل منه غير ممكن من طرف واحد ،اي لا تكون بين انداد متكافئة تجمع بينهما الرغبة الفعلية للوصول الى الحوار ، و ذلك بسبب وجود الطرف القوي الذي يتحكم في السياسة العالمية ، فالغرب يريد ان يفرض دائما قيمه سواء بالقوة او بالحوار حسب مفهومه الخاص ، من اجل اخضاع الطرف الاضعف و يتمثل في خروج معظم الدول الاسلامية من الاستعمار ضعيفة من جميع النواحي مع باقي الدول التي مازالت في حروب داخلية.

كما ان الحوار بين الدول و الحضارات مازال يحكمه ماض وواقع و مستقبل ، يقوم في اغلبه على المصالح و الهيمنة و القوة ،و لهذا غارودي يرى ان الحوار يكون

*"قسطنطين زريق" (1909/ 2000م) مؤرخ سوري ولد في دمشق ، وأحد أبرز دعاة القومية العربية ، أطلق عليه أكثر من لقب من بينها : شيخ المؤرخين العرب ،المربّي النموذجي ، مرشد الوحدويين ، داعية العقلانية في الفكر العربي الحديث ، من مؤلفاته : الوعي القومي ، معنى النكبة ، أي غد! ، في معركة الحضارة ، ... ، ومؤلفات أخرى.

ن مستحيلا ما دام كل طرف يعتقد بأنه يمتلك الحقيقة، فالنظر إلى الحقيقة من زاوية واحدة فانه سيجعل الحوار بين الحضارات حوار الطرشان، و في هذا الصدد يقول غارودي: "وليس بالإمكان حوار، إذا ما كان كل منا خط البداية على يقين من امتلاك الحقيقة الكلية المطلقة ، و لا يمكننا على العكس من هذا المشروع بحوار إلا انطلاقا مما تفتقر إليه كل ديانة من ديانتنا، ومما يعينها عن الإسهام في الإيمان الأوحد."

بالإضافة إلى موقف هنتغتون صاحب مقولة صدام الحضارات، فإنه يرى أن الحوار الحضاري هو حوار الطرشان، لأن الغرب بحسب رأيه ليس له استعداد لسماع باقي الحضارات باعتبار انه يمثل الحضارة الأقوى و العالمية و هي النموذج الذي ينبغي باقي الحضارات بإتباعه، فهو يحمل براديغم** منتصر ، بعد ان هزم العدو الشيوعي و ذلك الانتصار جعل الحضارة الغربية تفرض نظامها على الثقافات و الحضارات.

كما ان الحوار هو مجرد وهم و عبث لانه يؤول الى الصدام ، فالنموذج الحضاري الذي صاغته الحضارة الغربية قد تأسس وفق نظام عالمي جديد بعولمة غربية دون اللجوء الى باقي الحضارات الاخرى اللاغربية، و هذا ما تبينه لنا المعطيات الواقعية التي تبين صعوبة الحوار مع الاخر.

ونظرية " غارودي" حوار الحضارات حسب "زكي الميلاد" تنتمي وتصنف على النظريات الغربية ، ولا يعني ذلك بالضرورة نقدا لها ، أو رفضا أو إسقاطا ، وإنما القصد هو تحديد طبيعة الفضاء المعرفي والمرجعي لهذه النظرية ، وفهم غاياتها ومقاصدها ، وكيفية التعامل معها . وبالتالي لا يمكن الرجوع إلى هذه النظرية إلا في إطار التثاقف والتواصل الفكري والمعرفي، وليس الاعتماد عليها بوصفها

** براديغم(paradigme) : النموذج الفكري أو النموذج الإدراكي، أو الإطار النظري، ظهرت هذه الكلمة منذ أواخر الستينات من القرن العشرين في اللغة الانجليزية بمفهوم جديد ليشير الى أي نمط تفكير ضمن أي تخصص علمي او موضوع متصل بنظرية المعرفة " الابستمولوجيا ".

نظرية كونية عامة، أو باعتبارها قابلة للتعميم على المستوى الإنساني، مع أنها قد تعد من أنضج النظريات في مجالها، وأكثرها دعوة للانفتاح والتواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى غير الأوروبية.

مع ذلك يرى "زكي الميلاد" أن فلسفة حوار الحضارات تهدف إلى التعرف على ماهية الحضارات، والرؤية الكونية للوجود الإنساني، وعن مستقبلنا المشترك في هذا العالم.

ويمكن القول حسب "زكي الميلاد" أن مقولة حوار الحضارات، تعتبر أصلح وأسبق من مقولة صدام الحضارات على مستوى المعرفة والفكر، ولكن الوصول إليها كواقع وممارسة تقف دونه مسافات طويلة تمنع من أن يتقدم خطوات نحوها.

كما اشار الميلاد بأنها كادت أن تتلاشى و يرجع ذلك لعدة أسباب التي وضحها غارودي في ابحاثه، و في هذا الاطار نجد ان فكرة حوار الحضارات تراجعت بحيث أصبح بعض المفكرين يعتبرونها مجرد نقد للحضارة الغربية.

و على الرغم من أهمية الحوار ، ولا سيما أنها جاءت لردّ مقولة الصدام ، إلا أنها أثارت الكثير من الإشكاليات الجديدة في الوسط الفكري العربي الإسلامي ، و جددت طرح اخرى ومن هنا يبقى أمام حوار الحضارات في الوقت الراهن كفكرة وخبرة وممارسة في الدائرة العربية والإسلامية ، الكثير من العقبات لتخطيها ، وهذا للوصول إلى بلورة إطار للحوار من الوجهة العربية والإسلامية ،وفي إطار يقوم على القواسم المشتركة الكبرى بين الاتجاهات المختلفة .

نستخلص مما سبق ذكره أننا نعيش في عصر جديد سيطرت فيه الحضارة الغربية، التي حاولت أن تهيمن على باقي الحضارات معتبرة نفسها مركزا وباقي الحضارات هامشا، فقد ظهر نوع من الصدام والصراع بين الغرب وباقي الحضارات، فجاءت بالتالي أطروحة صدام الحضارات، التي نظر لها المفكر والفيلسوف الأمريكي صموئيل هنتنجتون، ولو أنه في الحقيقة فكرة صدام الحضارات

كان قد طرحها قبله برنارد لويس والمهدي المنجرة، فالصراع معطي طبيعي ولكن هناك صراع مفتعلا افتعلته الحضارة الغربية بعد أن زال الخطر الشيوعي، لأن الغرب لا يفكر إلا بعقلية ضرورة وجود عدو، فبعد أن أعلن هذا الفكر عن نهاية التاريخ بشر بظهور صدام بين الحضارات، وأن العالم سيشهد نوعا جديدة من الصراع أساسه الثقافة والحضارة، ولو أن الغرب يبني فكرة الصدام على الحضارات، إلا أنه في الحقيقة هو صراع مصالح، فللحفاظ على تفوقه وهيمنته. و هذا ما أشار اليه "الميلاد" بحيث اعتبرها مجرد أطروحة تحريضية ، تحذر الغرب دوما من الإسلام.

وبالمقابل دعت أطراف أخرى إلى ما عرف كنقيض لأطروحة صدام الحضارات، ألا وهو حوار الحضارات، والذي نادى به كل من روجيه غارودي، ومحمد خاتمي، وبعض الدوائر الغربية فكانت فلسفة الحوار الحضاري، بإعلان الأمم المتحدة سنة 2001 سنة للحوار بين الحضارات، ودعت إلى ضرورة تفعيل هذا الحوار وديمومته، وكانت البدايات بعقد مؤتمرات وندوات دولية شارك فيها الكثير من المفكرين والعلماء من جميع الحضارات. فالحوار الحضاري يعتبر ضرورة حتمية و ليس ترفا فكريا و واجب أخلاقي لتحقيق التعاون المثمر و التعايش السلمي بين البشر

قائمة المصادر:

.روجي غارودي: **البنيوية فلسفة موت الإنسان**، تر جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979.

روجي جارودي : **الولايات المتحدة الامريكية**، طليعة الانحطاط ،ترجمة مروان حمودي،ط1،دار الكتاب لنشر والطباعة، دمشق، سوريا، 1998 م

روجي جارودي :**محاكمة الصهيونية** ، الإسرائيلية، ترجمة ،عادل معلم ، ط 2،دار النشر،القاهرة،مصر،1999

روجي جارودي: **مشروع الامل** ،ط1،دار الأدب ،بيروت، 19997.

روجي غارودي: **الإرهاب الغربي**، ج،2 مكتبة الشروق الدولية، دب، ط،1 2004

روجي غارودي: **حفار والقبور**، تر عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط،3 ،2002 5-

روجي غارودي: **كيف صنعنا القرن العشرين**، تر ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط،2 2001 . 6-

روجي غارودي: **كيف نصنع المستقبل**، ترجمة منى طلبة، أنور مغيث، دار الشروق، القاهرة، ط،3 ،2002 .

روجي غارودي: **نظرات حول الإنسان**، تر يحي هويدي، دد، القاهرة، ط،3 ،2002 دط، ،1983.

قائمة المراجع:

جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج،1 مادة الحضارة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982 .

جورج طرابيشي: المعجم الفلسفي، مادة روجي غارو دي، دار الطليعة، بيروت، ط، .2006

عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج،1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط،1.

ول ديورانت: **نشأة الحضارة**، ترج: زكي نجيب محمود، ج،1 .

المحور الثالث: نظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنغتن

نظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنغتون

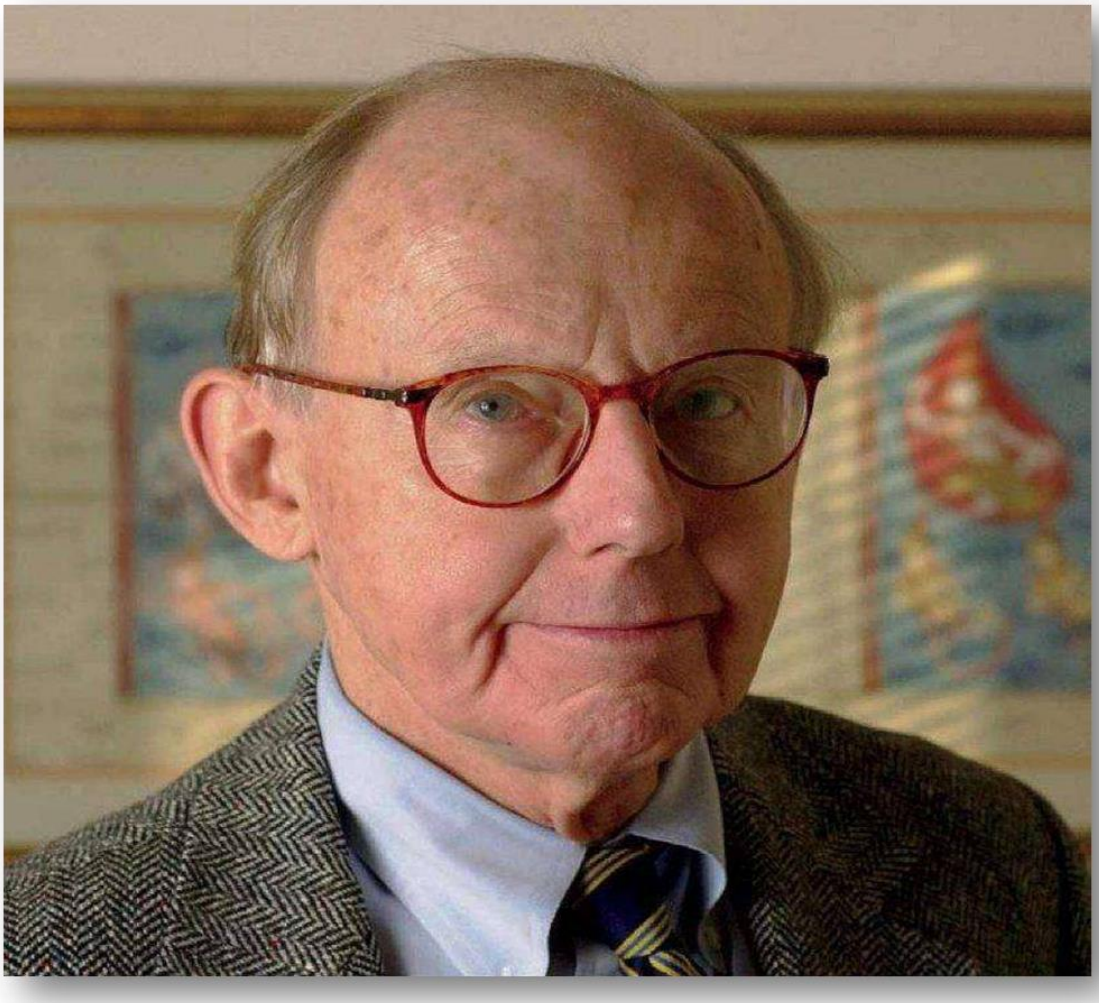

1. المحاضرة الأولى :من هو صامويل هنتنغتون؟ وماهي جذور نظرية الصدام ؟

1.1ترجمة وسيرة هنتنغتون : Huntington : ولد صموئيل هينجتون1927م بمدينة نيويورك

- من أب يعمل نشيرا لصحيفة ترويجية للفنادق ، و أم احترفت كتابة القصص .
- تابع صموئيل دراسته الثانوية في " ستيفست هاي سكول "،وتخرج عام 1946 في جامعة يال و بولاية كونتيكت وحصل على درجة الماجيستر فبي جامعة شيكاغو عام 1948 م ، ودكتورا الفلسفة في جامعة هارفارد عام1951 م.
- تقلد صمويل هينتنغتون عدة وضائف ومسؤوليات :
- عمل في فترة ما بين 1959 م-1962م مديرا مساعد في "مركز الدراسات للحرب والسلم " بجامعة كولومبيا الامريكية .
- وتولى مرتين منصب أستاذ كرسي بقسم الحكومة بجامعة هارفرد في فترتي 1967م -1962م وكذا 1970-1971م.
- واستمر في التدريس بالجامعة لمدة 58 عاما قبل تقاعده عام 2007م , وعمل أيضا رئيسا للجمعية الامريكية للعلوم السياسية من 1986م -1987 م ، ومديرا لمركز هارفرد لشؤون الدولية من 1987م إلى 1989م .
- أسس عام 1970 م رفقة صديقه وارن ديميان مانشل مجلة " فورين بوليسي " بهدف منح الفرصة لوجهات النظر المختلفة والجديدة أنذاك حول السياسة الخارجية في فترة الحرب الامريكية في فيتنام ، وساهم في الإشراف على تحرير فيها حتى عام 1977م

أسس معهد" جون أولان" للدراسات الاستراتيجية, وتولي منصب مدير من 1989م – 1999م ,كما ترأس "أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية" من1996 إلى 2004 .

عرف بتأييده للحزب الديموقراطي حيث تولى عام 1968م منصبا مستشار السياسة الخارجية.

تركزت مجلات أبحاثه حول الحكومة الامريكية وتحليل عمليات إرساء الديموقراطية، والسياسية العسكرية والاستراتيجية ، والتقاطع بين العسكر والحكومة المدنية و السياسات المقارنة، والتطور السياسي ، واشتهر بأطروحته حول " صدام الحضارات" ، وحذر صموئيل هينجتون في بحث له بالعنوان " **مقاربات نحو سياسة بعيدة عن الضغوط** " أنجزه عام 1973 م من مخاطر التحول السياسي السريع للحكومات الجديدة نحو الليبيرالية ، مقترحا أن تمديد تلك الحكومات فترتها الانتقالية نحو الديموقراطية الكاملة و اشتهر ايضا في بتحليله للعلاقة العسكر والحكومة المدنية ، وأنجز في هذا الصدد بحوثا بشأن الانقلابات العسكرية التي تشهدها بعض الدول، كما حلل التنمية السياسية والاقتصادية في العالم الثالث ، والمخاطر التي تشكلها الهجرة المعاصرة على الولايات المتحدة الامريكية .

أنجز صموئيل هينجتون أكثر من 90 بحثا , منها 17 كتابا – بعظها بالمشاركة مه الأخرين , أبرزها " صدام الحضارات , وإعادة تشكيل النظام العالمي الجديد " عام 1996 م , والذي ترجم إلى 39 لغة عالمية ، الجندي والدولة , النظرة والسياسات في علاقات العسكري و المدني " عام 1957م و شارك عام 1964 مع الأكاديمي زبيغنيو برجنسكي في تأليف كتاب " القوة السياسية و, الولايات المتحدة, الاتحاد السوفياتي", كما ألف عام 1969 م كتاب في النظام السياسي في التغير المجتمعات , و أيضا " الموجة الثالثة " , إرساء الديموقراطية في نهاية القرن العشرين ,عام 1991 م وكتاب " **من نحن : تحديات الهوية القومية " عام 2004 م** .

توفي صموئيل هينجتون يوم 27 ديسمبر /كانون الأول 2008 م بجزيرة مارثاز فينياد بولاية ماساشوسيتش الامر.

. المحاضرة الثانية : فرضيات اطروحة صدام الحضارات :

تنبأ توينبي أن الامر الذي سوف يشغل مؤرخي المستقبل هو " **صدام الحضارة الغربية بسائر الحضارات الاخرى أي تصادم الغرب مع الحضارات الاخرى** "كما أن " مهدي المنجرة "* كان قد اطلق مفهوم صراع الحضارات قبل صدور مقال هنتنغتون في حوار أجرته معه مجلة المرأة الالمانية (دير شبيجل) في 11 يناير 1991 و اعتبر ان حرب الخليج الاولى كانت بمثابة الحرب الحضارية الاولى ، وإن مقاربة " **المهدي المنجرة** " للصراع تتأسس عنده على ثلاث مراحل و هي :

- المرحلة الاستعمارية التي حددتها الرهانات الاقتصادية،
- ومرحلة الاستعمار الجديد المتأثرة بالرهانات السياسية
- وأخيرا مرحلة ما بعد الاستعمار الجديد وتبدأ بعد نهاية الحرب الباردة والتي عرفت صراعا ثقافيا نتج عن صراع المصالح بين دول الشمال والجنوب وبداية هذا الصراع الجديد مع حرب الخليج الاولى التي كشفت عن التعارض الثقافي بين الشرق والغرب بحيث أن هذه المراحل حسب " المنجرة " قد تركت بصمات على مدى تاريخ العالم خلال القرون الأخيرة.

و في هذا الاطار أشار المنجرة أن عالم اليوم يعاني من ثلاث تخوفات أساسية أزعجت الغرب :

---

* المهدي المنجرة: (1933-2014)، اقتصادي و عالم اجتماع مغربي مختص في الدراسات المستقبلية . يعتبر أحد أكبر المراجع العربية و الدولية في القضايا السياسية و العلاقات الدولية . عمل مستشارا اولا في الوفد الدائم للمغرب بهيئة الامم المتحدة بين عامي 1958-1959، و استاذا محاضرا و باحثا بمركز الدراسات التابع لجامعة لندن عام 1970. اختير للتدريس في عدة جامعات دولية(فرنسا انجلترا و هولندا و ايطالياو اليابان) و شغل باليونسكو مناصب قيادية عديدة (1961-1979)... إلخ و من اهم كتبه: من المهد الى اللحد، الحرب الحضارية الاولى، مسار الفكر...إلخ.

- " و هي الخوف من الديمغرافي لان الغرب لا يمثل إلا 20% من سكان العالم.
- أما التخوف الثاني يتجسد في الاسلام لان عدد المسلمين في تكاثر وهذا ما جعلهم يصلون الى قرابة40% من سكان العالم
- وأخيرا الخوف من تطور اسيا و خاصة اليابان .(.....)

فالمفكر المغربي المهدي المنجزة (1933-2014 م) من أوائل من انتبهوا إلى الدور المركزي للهوية الثقافية، في تحديد طبيعة ومصادر الصراعات الدولية المقبلة ، وذلك قبل 14 عام من صدور مقال هنتنغتون وذلك اثناء مشاركته في إعداد تقرير ر وما عام 1979 م ، تحت عنوان "**من المهد إلى اللحد**" . كما أن أن فكرة الصراع ترجع غلى مبدأ واحد وهو توسيع المصالح السياسية . وأحسن مثال على ذلك الحرب الباردة الدالة على مظاهر الصراع في العصر الحديث و ما تبعه من المضايقات والتوتر والتناقض بين الولايات المتحدة الامريكية و روسيا اليوم .

إذن فكرة نشأة الصراع مبدؤها الأساس هو تضارب المصالح والمغانم ، وتشير الدراسات والتحليلات السياسية المعاصرة إلى أنه وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي و تفكك ثنائية الصراع ظهر نظام دولي جديد تحت زعامة الولايات المتحدة الأمريكية التي هيمنت على العالم وبذلك ظهرت عدة مظاهر الصراعات في العالم المعاصر التي حاولت ان تحدد طبيعة النظام الدولي الجديد ومن هنا نشأت أفكار أخرى حول نشأة الصراع مثل العولمة ، نهاية التاريخ ، أطروحة صدام الحضارات .

ملاحظة:

و في هذا الاطار علينا التنبيه إلى أن هنتغتون لم يفصل بين الثقافة و الحضارة فهما عنده سواء و قد بين أن الصراع الحضاري هو المحور الاساسي الذي تدور حوله السياسات العالمية و هو الذي يتحكم في مجريات العلاقات بين العالم وعليه فقد عرف هينجتون الحضارة بأنها أعلى تجمع ثقافي للبشر و

أوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون الشعب ما قد وصل إليها والتي تميز بني البشر من الانواع الأخرى الحضارة يمكن التحديد لها من خلال كل من العناصر الموضوعية المشتركة ،مثل اللغة ،التاريخ، الديانة، العادات والتقاليد ،المؤسسات ، والتعريف بالكيان الذاتي .

معنى أن الحضارة تشمل الثقافة ، حسب هينجتون ، وأن الهوية الثقافية في أوسع مستويات والتي تميز شعب ما تماثل الحضارة لذلك الشعب .

وحسبه :" إن كلا من الحضارة والثقافة يشيران إلى نمط الحياة العالم ، وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة ، كلاهما يتضمن القيم والمبادئ و المؤسسات و انماط التفكير التي تعطي لها الاجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية أولية"

قبل البدء في تحليل اطروحة صدام الحضارات لابد اننا من معرفة جذور الصراع الحضاري في العالم حيث يقول سايمون ميردين: " التجربة الانسانية هي تجربة ثقافات و الفروق الثقافية هي صلب السلوكيات الانسانية على مدى تاريخ السياسة الدولية و مع نهاية القرن العشرين شهد تجديد التأكيد على أهمية الثقافة من حيث إعادة النظر في النظام العالمي و كان ذلك نتيجة انتهاء الحرب الباردة". ومنه يرى الكثير من مفكري الغرب ان الصراع ظاهرة طبيعية في حياة الانسان ، و في حياة المؤسسات جميعا، و بالخصوص ظاهرة صراع الامم و الحضارات موجودة منذ فجر التاريخ و لكن الصراع متعدد الابعاد و العوامل و لا يشمل البعد الثقافي فقط .

المحاضرة الثالثة : فحوى نظرية صدام الحضارات لصماويل هنتغتون :

هي عبارة عن نظرية او اطروحة ظهرت على يد " صمويل هنتغتون "* استاذ العلوم السياسية في جامعة هارفرد في عام 1993 ، حيث نشر في عام 1993 مقالة عنوانها صدام الحضارات و اعاد صياغتها عام 1996 بعد ان وجدها قد ليقت قبولا كبيرا ليصبح عنوانها صدام الحضارات و إعادة صنع العالم . و قد اثارت هذه الاطروحة ردود متباين في الأوساط الاكاديمية و الثقافية و السياسية فهناك من قام بتأييدها او من تحفظ عليها او رفضها كما و قد نشا جدل و نقاش سياسي و استراتيجي حولها و قامت نظرية صدام الحضارات عند هنتنغتون على فكرة أن الحضارة و الثقافة هما العامل الجديد الذي سوف يتحكم فيما ستؤول إليه العلاقات الدولية و ا ناي انقسام عامي سيكون مبنيا على اساس حضاري و ان الصدام سيكون بين مجموعة حضارات متنافسة تنقسم و تتحيز بناء على مدى انسجامها .

قدم هنتنغتون اطروحته على صورة فرضية فحواها ان الفكرة الاساسية المحركة لفرضية صدام الحضارات هو تبنيها الصريح ان الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية و منه فجوهر الفرضية يكمن في كون الحضارات باعتبارها ارقى اشكال التعبير عن الهوية سيكون لها دور فعال في المستقبل لكن الصراع الحضاري هو الذي سيطبع السياسة الدولية و يكون احد العوامل

* صامويل هنتغتون: (1927-2008)، هو عالم و سياسي أمريكي، و بروفسور في جامعة هارفرد ل 58عاما ، و مفكر محافظ. عمل في عدة مجالات فرعية منبثقة من العلوم السياسية و الاعمال، تصفه جامعة هرفارد بمعلم جيل من العلماء في مجالات متباينة على نطاق واسع، و أحد أكثر علماء السياسة تأثيرا في النصف الثاني من القرن العشرين. من أهم أعماله: الجندي و الدولة، النظام الساسي في مجتمعات متغيرة، صدام الحضارات.

الاساسية في تحديد نوع النزاعات القادمة و بين ذلك في قوله : " و يقوم افتراضي على ان المصدر الاساسي للصراع في هذا العالم الجديد (عالم ما بعد الحرب الباردة) لن يكون أيديولوجيا أو اقتصاديا في الانسان فالتباينات بين الجنس البشري و المصدر المحوري **للصراع ستكون ثقافية** ... و ستظل الدول القومية أكثر الوحدات الفاعلة قوة في الشؤون الدولية غير ان الصراعات الاساسية في السياسة الدولية ستقع بين دول وجماعات صاحبة حضارات مختلفة و سيهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية و ستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل ."

و من هذا المنطلق مهد هنتنغتون لنظريته بالتأكيد و في اكثر كم موقع على ضرورة وجود الاعداء و حمل الكره للأخرين فقال بصريح العبارة :" ليس هناك اصدقاء حقيقين بدون وجود اعداء حقيقين ، إننا ما لم نكره الآخرين ، فلن تستطيع ان نحب انفسنا ." حيث اعتبر وجود الاعداء شيئا جوهريا و اكد على ان اكثر الاعداء خطرا هم الذين يقعون عند خطوط الصدع(خطوط دموية) بين حضارات العالم الكبرى . "

و يؤكد هنتنغتون أن هذا العالم الجديد اكثر الصراعات انتشارا و خطورة لن تكون بين طبقات اجتماعية غنية و فقيرة او جماعات اخرى محددة على اسس اقتصادية و لكن بين شعوب تنتمي الى هويات ثقافية مختلفة ، الحروب القبائلية و الصراعات العرقية سوف تقوم داخل حضارات ." فالفروق و السمات الثقافية الجوهرية ، ستؤدي دورا حاسما في تطور المجتمعات و تحديد مصيرها كما انها سترسم معالم السياسة الثقافية الكونية في المستقبل ، و حتى ما يعرف بالهويات القاتلة و المتمردة عليها ان تعيد انتمائها ، و ستشارك في الازمة الحضارية الراهنة .

فالعالم يشهد اخطر مرحلة في صراعاته التي عرفها ، فهي مرحلة الصراع الثقافي، فالثقافة هي اهم عامل فيه، لأنها سلاح ذو حدين ، انها عامل موحد تجعل الجماعات الثقافية التي تنتمي لنفس الحضارة تتجمع و تشعر بهويتها ، و تقف موحدة في وجه اي تهديد ، كما انها عامل مفرق

، اي تفرق الشعوب التي تتمايز ثقافيا ، و بالتالي تتمايز هويتها . ومن هذا المنطلق يرجع هنتنغتون الى ان : " ما يهم الناس ليس الايديولوجية او المصالح الاقتصادية بل الايمان و الاسرة و الدم و العقيدة فلذلك ما يجمع الناس و ما يحاربون من اجله و يموتون في سبيله ".

و قد تعززت هذه الفكرة منذ احداث 11 سبتمبر 2001 خاصة ان هنتنغتون قد وجه تحذيرا الى الحضارة الغربية من باقي الحضارات الأخرى إذ حدد الخطوط الفاصلة بين الحضارات كخطوط لاهم المعارك التي عرفها و سيعرفها تاريخ الصدام بين الحضارات، " فالشعوب في مختلف الدول تتجه اكثر نحو التمسك بعاداتها و دينها و تقاليدها التي اصبحت تشكل المحرك الأساسي لها حتى في علاقتها بالعالم الخارجي. " . و في هذا الاطار اشار هنتنغتون الى مجموعة من القضايا الجوهرية و هي كالتالي :

أ. **طبيعة الحضارة:** عند طرح السؤال حول مفهوم الحضارة ، اجاب هنتغنتون بالقول: " بان الحضارة هي ارفع تجمع ثقافي للبشر و هي اشمل مستوى للهوية الثقافية ، يمكن تحديدها و تعريفها بكل العناصر الموضوعة مثل اللغة و التاريخ و الدين و العادات و المؤسسات و بالتمايز الذاتي للبشر، و لدى البشر عدة مستويات للهوية : فمواطن روما نفسه ربما يعرف نفسه بدرجات متباينة الشدة كروماني و ايطالي و كاثوليكي و غربي و الحضارة التي ينتمي اليها هي المستوى الامثل للتمايز و الذي يعرف به بشدة . "

ب. تقسيم الحضارات: و قد قسم هنتغتون في هذا الاطار العالم الى سبع او ثمان حضارات و هي : الحضارة الصينية ، و الحضارة اليابانية و الحضارة الهندوكية أو الهندوسية ، الحضارة الإسلامية ، الحضارة الارثودوكسية ، الحضارة الغربية ، الحضارة الأمريكية اللاتينية ، و الحضارة الإفريقية (محتملة) .

ت. رفض الحضارة الواحدة العالمية: يرفض فكرة الحضارة الغربية العالمية و يؤكد أن استعمال الادوات الغربية من لباس و شراب الكوكاكولا و موسيقى الراب لا يعني باي حال من الاحوال اندماج الحضارات الاخرى في الحضارة الغربية ، و لهذا يقول : "الغرور الساذج فقط يمكن ان يقود الغربيي الى الاعتقاد بان غير الغربيين سيصيرون متمردين على النمط الغربي باكتساب السلع الغربية و يتساءل ما الذي حقا يعني قوله للعالم عن الغرب عندما يعرف الغربيون انفسهم و حضارتهم بالسوائل الغازية و البنطلونات ذات الموضة و الأطعمة الدسمة. "

ث. خصائص الحضارة الغربية: لقد حدد هنتجتون جملة من السمات التي تشكل ملامح الحضارة الغربية و بها تفوقت على غيرها و تمثلت في : الميراث الكلاسيكي (المتمثل في الفلسفة اليونانية و العقلانية و القانون الروماني و اللاتينية و المسيحية و الكاثوليكية و البروتستانتية "المسيحية الغربية")، و اللغات الأوروبية بصورها المتباينة و الفصل بين الكنيسة و سلطة الدولة و سيادة القانون و التعددية الاجتماعية و الهيئات العامة النيابية و النزعة الفردية . "

ج. الخوف من انبعاث الحضارات: يؤكد هنتنغتون أيضا أن القوة تتجه إلى شرق أسيا نتيجة القوة الاقتصادية كما أن القوة العسكرية و النفوذ السياسي بدأ يتبعان الاتجاه نفسه و يرى أن العالم الإسلامي صار بشكل متزايد عدوانيا نحو الغرب و كذلك الحال بالنسبة للغرب في نفسه و إرادته في الهيمنة ."

و يرى هنتنغتون أن أهم و اكبر زيادة في القوة ستكون للحضارات الأسيوية و مع بزوغ الصين تدريجيا كمجتمع و الذي يتحدى على الأرجح الغرب من اجل النفوذ العالمي، هذه التحولات

في القوة بين الحضارات تؤدي الآن إلى إحياء و تأكيد الذات الثقافي المتزايد للمجتمعات غير الغربية و رفضهم المتزايد للثقافة الغربية .

ويضيف هنتنغتون موضحا بينما كان نهوض شرق أسيا قد غذته معدلات النمو الاقتصادية المذهلة، فان الانبعاث الإسلامي فقد غذته بشكل متساو معدلات نمو الديمغرافي السكاني بطريقة مذهلة. كما حذر هنتنغتون من وجود الأسباب التي تجعل العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والصينية تتوسع وتتعمق وتتحدى الحضارة الغربية، بحيث عرضتها حول منع انتشار الأسلحة النووية، وحقوق الإنسان وقضايا أخرى ولذلك ألح هنتنغتون على الغرب أن يتخذوا جميع الاحتياطات سواء على المستوى القريب أو على المستوى البعيد للدفاع عن مصالحه والحفاظ على مركزه.

لقد صاغ هنتنغتون نظريته في صدام الحضارات من اجل أن يحذر الغرب من خطر الحضارات الأخرى، وعليه أن يعيد تجديد ذاته وتفادي الانحلال الداخلي قبل الخارجي وعليه أن يتجنب أسباب الأفول والاضمحلال كمما حدث للحضارات السابقة. كما إن إقناع علماء ومفكري الغرب بالقوة الحضارية للغرب لا يعني ذلك خلود الغرب فالحضارات تتغير وقد تبرز حضارات أخرى تغزو الغرب وينتهي من التاريخ.

مما زاد هينجتون فخرا بصحة أطروحته هو هجمات 11 سبتمبر 2001 على برجي التجارة العالمية و كان الإسلام طبعا في قفص الاتهام و أصبح بعدها يوصف ب "الإرهاب" و التطرف و العنف و القتل و التدمير و كان الإنسانية ستقف على مفترق الطرق بين قوى الحضارة و الخير و قوى الهمجية و الشر . و هكذا راح الفكر الغربي يسوق لمثل هذه الأفكار و الأحكام على الإسلام و المسلمين و كأنه كان يتحين الفرصة للانتقام من الحضارة التي استفاد علمائه و مفكريه من علمها و تفكيرها و علمته القيم العليا السامية كالسلام و التسامح ، و لهذا نجد الغرب

يسعى و يريد تفكيك الإسلام بضرب هويته الحضارية و اتهامه بأنه سبب تأخر المسلمين و كل هذا كان بسبب الفكر الغربي الذي قام بفعل " تأويل مفرط و تبني صامت لأطروحة صدام الحضارات" ما جعلها حقا واحدة من الأساطير المؤسسة للعنف الثقافي الموجهة للسياسة الخارجية الأمريكية .

المحاضرة الرابعة : نقد نظرية صدام الحضارات:

لقد تعرضت نظرية أو أطروحة صدام الحضارات لهنتنغتون، إلى اهتمام ودراسة ونقد كبير من طرف المفكرين وعلماء الحضارات، وعلماء الاجتماع والسياسة والفلاسفة، نظرا إلى ما تحمله من أفكار عن الحضارات، ومن دراسات المستقبل العلاقات بين الحضارات، فهي بنيت على خلفيات إيديولوجية وعادت إلى تاريخ العلاقات الحضارية، وقد نظر لها المفكر والفيلسوف الأمريكي صموئيل هنتنغتون الذي كان أستاذا للعلوم السياسية والدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد، وكان مقربا من مركز صناعة القرار في الغرب الأمريكي، ولقد نشر هنتنغتون أطروحته حول صدام الحضارات أولا كمقال في مجلة (فورين أفيرز) ثم طوره في شكل كتاب حمل عنوان: "صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي" وهو كتاب ضخم، يستند فيه هنتنغتون في تفسيره لأطروحة الصدام بين الحضارات إلى حقائق التاريخ، معتمدا على إحصائيات وخرائط ومنحنيات بيانية، تبين لنا بأن هنتنغتون يريد أن ينطلق من حقائق لبناء فرضيات، وهو منهج الاستقصاء والتحليل بغية استشراف المستقبل، مؤكدا أن العالم اليوم يشهد تعدد الحضارات، وأن هناك نظاما عالميا في الأفق سيرتسم كما أن الحضارات كيانات لها وجودها ومميزاتها، وأن العلاقات السياسية المعاصرة بين الحضارات ستبنى وفق العلاقات الثقافية، وأن ما يميز الثقافات هو الهويات، وإذا حدث وأن حاولت حضارة أن تحتل أخرى، فإن هناك حربة حضارية ستعلن.

وباعتبار الغرب هو الحضارة الأقوى اليوم فإنه يواجه أعداء جدد، بعد أن زال العدو القديم والمتمثل في الشيوعية، وهذا العدو الجديد هو الإسلام وحضارته، هذا الأخير الذي يدعو إلى حوار وتحالف الحضارات نتيجة لضعفه، كما يعتقد مفكرو الغرب بمن فيهم هنتنغتون، وأن أطروحة الصدام هي المحركة والمفسرة للتاريخ الذي لم يعلن نهايته بعد، ومن ثمة على الغرب أن يسعى لتعميم حضارته

وقيمه، من أجل أن يتفادى من أفول حضارته أو غزوها من أعداء خارجيين، وإن الوصول إلى حضارة عالمية واحدة بعيد المنال وفق المعطيات التاريخية الحالية، وعليه يمكن أن نقول بأن هنتنغتون قد لخص أطروحته في قوله "**ولا تبغي هذه الدراسة الدفاع عن الرغبة في حدوث صراعات بين الحضارات، بل تهدف إلى توضيح افتراضات نظرية لما قد يكون عليه المستقبل** ".

و في هذا الإطار" هنتنغتون " يريد أن يوضح من خلال أطروحته انها ليست فلسفة الصراع بين الحضارات بل إنها فلسفة تحليلية و تفسيرية للواقع، ومن ثمة التنبؤ بالمستقبل، لكن الدارس لكل أفكاره المنبثة في جل كتبه يستنتج أن هنتنغتون كان ينظر إلى صدام بين الحضارات، ولم تكن دعوته بريئة فكثيرا ما نصح الغرب بالدفاع عن الحضارة الغربية، واعتبار الآخر عدوا خاصة الإسلام بمن فيهم أستاذه برنارد لويس، فموقفه ينم عن الحقد الدفين على الإسلام و حضارته، و جاء ذلك صريحا في أقوال هنتجتون و أستاذه، و هذا الأخير الذي يقول أن الإسلام عدو ضد التراث اليهودي و المسيحي، و ذلك من اجل أن يستعطف الغرب ضد الإسلام، فالخلفيات التاريخية و الدينية هي التي فرضت أطروحة صدام الحضارات. و لهذا نجد المفكر اللبناني وجيه قلنصوة يقول : " وإن أطروحة هنتنغتون حول صدام الحضارات لم تكن تأسيسا لفلسفة الصراع الثقافي بقدر ما كانت استثمارا سياسيا قائما على فلسفة الكائن، الذي هو أساس كل سيطرة.

- ✓ كما يقول روجيه غارودي: وإنسان غربي يرى الوطن كل أرض يفرض فيها سيطرته وإرادته.
- ✓ و كما يقول شبنجلر، وتاريخ غربي، لا يزال صراع السيد والعبد يشكل محركه الأول،
- ✓ أو كما يرى هيجل وتحقيب تاريخي في الغرب يقوم على تعقب أدوات السيطرة التي قهر بها الإنسان الطبيعة وظلم نفسه. " .

إنه تفسير منطقي لفلسفة الفكر الغربي، الذي قام على تصور الغرب على أنه من يمثل الحضارة، وأنه لا يمكن أن نجد حضارة خارج الغرب، هذه النظرة العنصرية المتعالية نجدها حتى عند الفلاسفة

الذين كانوا يؤمنون بالعقل والحكمة والعدالة، حيث تصوروا الحضارة الغربية على أنها أرقى الحضارات، وأن الليبرالية التي جاءت بها، والقيم التي تنادي بها، هي القيم الأصح والأصلح، وكل هذا من إبداع الرجل الغربي، الذي لديه القدرة على التفكير والإبداع، على خلاف الباقي في الحضارات الأخرى، ومن ثمة فإن الغربي كان يعتقد بأن الأرض كلها قد خلقت له، وعليه أن ينشر فيها قيمه وحضارته فكان الاستعمار والإمبريالية.

بالإضافة على انه فكر غربي يستند إلى صراع المتناقضات، والجدل الهيجلي الذي يقوم على صراع بين السيد والعبد، ومن ثمة السعي للهيمنة على الحضارات، وقبل ذلك تسخير الطبيعة من أجل هيمنة أقوى وأكبر على الطبيعة وعلى باقي الحضارات، إلا أنه نسي نفسه ومشاكله، وأصبح الإنسان الغربي خارج ذاته يبحث عنها فيما ينتجه، وقد أصيب بخيبة الأمل والاغتراب الذي أفقده حريته، وجعله مثل الآلة يفتقد إلى القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية العليا، مما تسبب في تفكك علاقاته الاجتماعية والسرية، وأصبح يبحث عن وجوده فاكتشف وجوده الزائف بعد أن ابتعد عن الدين والحقائق الروحية ليجد نفسه يقدس المادي الذي لا يشفي غليله في المعرفة والقيم، إنها أزمة الحضارة الغربية.

كما يعتقد فيها البعض، أنها جاءت لتقف ضد كل ما هو ديني روحي، وتدعو بالتالي جميع الشعوب والحضارات إلى أن تتخلى عن معتقداتها وهوياتها وخصوصياتها، إن هي أرادت أن تلتحق بركب الحضارة الغربية، التي تخلت عن تلك العوائق منذ أن بدأت في فلسفة الفصل بين الدين والدولة أو ما يسمى بالعلمانية، إن التطور في نظرهم مرتبط بالتحديث والتغريب، وإن من منطلقاته التنازل عن القيم الحضارية لكل حضارة، حيث "سعت نظرية صدام الحضارات على المستوى السياسي والثقافي والإيديولوجي والإعلامي، إلى إقناع الشعوب العربية بضرورة وأهمية نسف المعلومات الروحية والعقدية والثقافية للحضارات الأخرى، وتهميشها واحتقارها وتشويه صورتها " .

وبالعودة إلى الأطروحة، نجد أن الكثير من الباحثين يرون أنها مجرد فرضية حاولت استغلال ما مرت به الحضارات السابقة من صراعات و تغيرات على مستوى الخارطة السياسية للدول والأمم، فنجد أن الصراع في حد ذاته فهو حتمية تاريخية، و ليس بفكرة جديدة و بالتالي لم تخل مراحل التاريخ من صراع بين الحضارات، سواء داخل الحضارة الواحدة أو بين الحضارات الأخرى، كما لم تخل الحضارات من علاقات الحوار والتحالف والتدافع والتعارف والتعايش، ومن هذا المنطلق فإن العلاقات بين الشعوب والثقافات والحضارات، تمر بمرحلة خمود مرة وبمراحل مختلفة مرة أخرى، وهو ما يفسر حركة التاريخ وتغيره، وتطور الإنسانية وانتقالها من مرحلة إلى أخرى.

لم يعتمد "صموائيل هنتنغتون" على معيار واحد في تقسيم الحضارات، على أساس جغرافي أو ديني أو عقيدي وغيرها، كالحضارة الغربية والحضارة الإسلامية و الحضارة الكونفشيوسية وهو ما يمثل خللا معرفيا.

فتقسيم العالم إلى خطوط ثقافية بدل جغرافية، هو محاولة لرسم الحدود مع الإسلام. و بالتالي فإن أطروحة هنتنغتون تنطلق من الفرضية تصنيف الحضارات على أساس الدين وليس شيئا آخر، ومن ثمة فهي تنطلق من الأحادية القطبية، وتلغي باقي الحضارات، وترى في بعضها على أنها العدو.

وهذه هي خريطة العالم كما قسمها هنتنغتون :

كما يتضح الوجه الآخر لأطروحة هنتنغتون التي يبين من خلالها أن الفكر الغربي قد وقع في فخ الذاتية والانطواء والتمركز حول الذات، واستبعد النقد الذاتي الذي بني عليه الفكر الغربي كما أنه وقع في أسر التعالي والدونية، وأراد أن تصبح حضارته وقيمها عالمية، دون اعتبار لباقي الحضارات وخصوصياتها الثقافية.

و هناك من الباحثين من يرى أن أطروحة هينجتون قد كشفت الوجه الحقيقي للفكر الغربي ، كما أنها كشفت اقنعة العولمة، وهذا الوجه عبر عنه في تفسير الحضارة الغربية، لكل ما يحدث في العالم، وما سيحدث إنه يتم في إطار من الصراع الحضاري وبالتالي، على الحضارات أن تحضر نفسها

الصراعات أكبر وأقوى على المستوى العالمي، قد تؤدي إلى زوالها وأفولها، وهذا هو المنطق الحضاري الذي تحتكم وتسير عليه الحضارة الغربية،" إن نظرية صدام الحضارات كانت بمثابة مكاشفة حضارية خطيرة أسقطت كل الأقنعة ."

و في هذا الإطار سجل الميلاد جملة من الملاحظات النقدية على مستوى المنهج و التي سنعرضها كالتالي:

أولا: يبدو أن هنتنغتون كان محكوما بفرضية الصدام بين الحضارات، الفرضية التي وظف لها ما عنده من خبرة معرفية ومنهجية متصلة بمجال تخصه الأكاديمي والمهني، لكي يبرهن على مصداقية هذه الفرضية وصحتها.

ثانيا: لم يعط هنتنغتون أي مجال للنظر والتفكير في فرضية الحوار بين الحضارات، وتركز الطرح عنده ، بصورة أساسية، على فرضية الصدام بين الحضارات، لكنه أشار في خاتمة المقالة وبشكل عابر إلى الدعوة للتعايش، وحسب قوله : وبالنسبة إلى المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية، بل عالم يضم حضارات مختلفة ينبغي أن يتعلم كل منها التعايش مع غيره. لكن الذي لم يتحدث عنه هنتنغتون هو: كيف تتعلم هذه الحضارات التعايش، هل على قاعدة الصدام أو على قاعدة الحوار والتفاهم؟، كما أنه لم يشرح كيف تنتقل هذه الحضارات من حالة الصدام إلى حالة التعايش والحوار؟

ثالثا: مع كل ما أخذه الغرب من معارف وعلوم من الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، وما اكتشفه من قدرة حضارية خلاقة في الإسلام، وما عرفه عن الدور الكبير الذي أداه الإسلام في نهضة العقل والعلم والآداب، ومشاركته في بناء الحضارة الإنسانية، ومع ما يمكن أن يقدمه هذا الدين المستقبل الإنسان، والارتقاء بالحضارة البشرية، مع كل هذا وغيره، لا يريد الغرب أن يصحح علاقته بالإسلام، وهذا أمر محير حقا. و هنتنغتون وقع في هذه الإشكالية، وهو يسهم، بنظرية صدام

الحضارات، في دفع الغرب نحو الاصطدام مستقبلا بالإسلام، فتاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب عنده هو تاريخ نزاع وصدام مستمرين.

رابعا: إن المكون الحقيقي لنظرية هنتنغتون هو أنه ينطلق من خلفية الحفاظ على مصالح الغرب، وضبط هيمنته على العالم، واستمرار تفوقه وفرادته على بقية الحضارات.

ولا شك في أن هذه خلفيات شديدة التحيز إلى الغرب، ولا تسهم إلا في تكريس الانقسامات في العالم، وترسيخ الفروقات بين الحضارات.

وفي سياق نقده لنظرية هنتنغتون، تساءل الصيني ليوبينيان: هل يصبح القرن الحادي والعشرين عصرة يمكن أن تندمج فيه الحضارات من خلال التفاعل والتوافق في الرأي؟ وحسب رأيه فإن المهمة الأصعب هي عملية إنقاذ الناس أنفسهم بأنفسهم، أي تحويل الناس الخانعين المرتعدين إلى بشر حقيقيين، ولا ريب في أن إثراء روح الإنسان هي المهمة الأطول والأشق، وهي مهمة تتطلب استخدام خير ما في الحضارات جميعا، وليس التركيز على ما بينها من خلافات.

قائمة المصادر

- صموئيل هينجتون، آفاق الصدام، الإسلام والغرب، تر، مجدي شرشر ،القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1 ،1995
- صموئيل هينجتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة، مالك عبيد أبو شهيوة، محمود محمد خلف، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1 ،1999
- صموئيل هينجتون، أمريكا الأنا والآخر...من نحن؟ الجدل الكبير في أمريكا، تر، عثمان الجبالي المثلوثي، ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط1 ،2006م.

قائمة المراجع:

- أبو الفضل ، منى و الاخرون: **الحوار مع الغرب** ، الياته ، أهدافه ، دار الفكر، دمشق ، 2008
- بايير ، مايكل: **كهنة الحرب الكبار** ن ترجمة حسين شريف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2006
- البداح محمد بن خالد :**حوار الحضارات مقاربة فلسفية في ضوء الدراسات الإسلامية المعاصرة** ،السودان ،2015
- بشار ، باكور:**الإسلام والعرب ،بين الاساطير الصدام وحقائق الانسجام** مديرية الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق
- شلبي أمين : **أمريكا والعالم متابعات في السياسة الخارجية الامريكية** ، نشر وتوزيع عالم الكتب ، القاهرة ،مصر ، 2000-2005
- عباس غالي ، الحديثي : **نظريات السيطرة الاستراتيجية والصراع الحضارات** ، دار أسامة لنشر والتوزيع ، الأردن عمان ، ط 1، 2004
- عروة ، عباس: **صدام الحضارات من منظور علم النزاع والسلم** ، في المنتدى الفكري الاول للدراسات ، بعنوان الإسلام والغرب :من أجل عالم أفضل، الدوحة26-28،ماي ، 2006

المحور الرابع : نظرية التعارف لزكي الميلاد المولود 1965م

المحاضرة التمهيدية :من هو زكي الميلاد؟

" زكي الميلاد" من مواليد سنة (1385هـ - 1965م) في محافظة القطيف، شرق المملكة العربية السعودية، متخصص في الدراسات الإسلامية، وباحث في الفكر الإسلامي والإسلاميات المعاصرة، رئيس تحرير مجلة الكلمة، فصلية فكرية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري، تصدر من بيروت، صدرت سنة 1993م، مضي عليها أكثر من ربع قرن. و نال جائزة الكتاب السعودي في الفكر والفلسفة سنة 2017، عن كتابه: (عصر النهضة.. كيف انبثق؟ ولماذا أخفق؟). منحة الإتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية لقب دكتوراه إبداع على مجموع المؤلفات والأبحاث والكتابات والأعمال الفكرية الأخرى، بموجب خطاب بتاريخ 2003.

عن مؤلفاته[1]:

المؤلفات، المنشور من هذه المؤلفات يزيد على (40) كتابا، صدرت في عواصم ومدن عربية وإسلامية وأوروبية عدة، منها: (بيروت، دمشق، عمان، القاهرة، الجزائر، الرياض، القطيف، حائل، أبها، الباحة، جازان، الطائف، القصيم، النجف، سايروكن - ألمانيا)، والعديد من هذه المؤلفات صدرت في أكثر من طبعة. وقد نالت هذه المؤلفات عناية واهتمام الكتاب والباحثين والنقاد والمتابعين للشأن الفكري والثقافي، ولقضايا وشؤون الفكر الإسلامي المعاصر، وتم الرجوع إلى هذه المؤلفات والاستشهاد بها في كثير من المقالات والدراسات والمؤلفات والرسائل الجامعية ومن بينها نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

1- الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري، نشر سنة 1991م .

2- تحولات الفكر والثقافة في الحركة الإسلامية، نشر سنة 1992م.

3- الحركة الإسلامية وآفاق العمل الفكري، نشر سنة 1993م.

4- الوحدة والتعددية والحوار في الخطاب الإسلامي المعاصر،نشر سنة 1994م.

5- الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد،نشر سنة 1994م.

6- خطاب الوحدة الإسلامية (مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي)،نشر سنة 1997م.

7- مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، نشر سنة 1998م.

8- الجامع والجامعة والجماعة (دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي) ،نشر سنة 1998م.

9- المسألة الحضارية (كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟)،نشر سنة 1999م.

10- الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات،نشر سنة 1999م.

11- محنة المثقف الديني مع العصر، نشر سنة 2000م.

12- الفكر الإسلامي تطوراته ومساراته المعاصرة، نشر سنة 2001م.

13- تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة، نشر سنة 2001م.

14- الإسلام والغرب (الحاضر والمستقبل) ، نشر2001م.

15- من التراث إلى الاجتهاد (الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد)، نشر سنة 2004م.

16- المسألة الثقافية (من أجل بناء نظرية في الثقافة) ، نشر سنة 2005م.

17- نحن والعالم (من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم) ، نشر سنة 2005م.

18- تعارف الحضارات، نشر سنة 2006م.

19- الإسلام والمدنية (حوارات حول الفكر الإسلامي قضاياه، ومسائله، وإشكالياته) ، (يمتد الأفق الزمني لهذه الحوارات مابين عام 1993م إلى عام 2006م).

20- الإسلام والإصلاح الثقافي، نشر سنة 2007م.

21- هاملتون جيب وكتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام، نشر سنة 2007م.

22- الإسلام والتجديد (كيف يتجدد الفكر الإسلامي ؟)، نشر سنة 2008م.

23- محمد إقبال والتجديد الديني والفلسفي، نشر سنة 2008م.

24- هل المثقفون في أزمة ؟ نشر سنة 2009م .

25- نحن والثقافة (تأملات في مجالنا الثقافي ومستقبلياته) ، نشر سنة 2009م.

26- الحوار في القرآن الكريم (نماذج ومبادئ) ، نشر سنة 2010م.

27- الإسلام والعولمة (لماذا لا تكون العولمة مكسبا لنا ؟)، نشر سنة 2010م.

28- الإسلام والحداثة (من صدمة الحداثة إلى البحث عن حداثة إسلامية) ، نشر سنة 2010م.

29- دراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية، نشر سنة 2011م.[1]

30- الإسلام وحقوق الإنسان (تطور الفكر الإسلامي المعاصر من التأصيل إلى التقنين)، نشر سنة 2011م.

31- تجديد أصول الفقه (دراسة تحليلية نقدية لمحاولات المعاصرين) ،نشر سنة 2013م.

32- السيد محمد باقر الصدر.. والتجديد الفكري و الأصولي، نشر سنة 2013م.

33- الإسلام والنزعة الإنسانية.. كيف نعطي النزعة الإنسانية قوة المعنى؟ نشر سنة 2013م.

34- الإسلام والعقلانية (ضد الجمود وضد الاستلاب) ، نشر في 2014.

المشاركة في مؤلفات جماعية: والمنشور من هذه المؤلفات يزيد عددها على (30) كتابا صدرت في دول عربية وإسلامية عدة، وهي مؤلفات مشتركة، وأكثرها أعمال لندوات ومؤتمرات فكرية وإسلامية تم المشاركة فيها من خلال أوراق بحثية مكتوبة.

: **المؤلفات المحررة**: وهي المؤلفات التي قام الأستاذ "زكي الميلاد" بإعدادها وتحريرها والتقديم لها، وهي حاليا أربعة مؤلفات، صدرت في لبنان وسوريا ومصر.

[1] مقالة من الموقع الالكتروني نفسه :[http: // www.Almilad.org]

القسم الرابع: المؤلفات المقدم لها: وهي المؤلفات التي قام الأستاذ "زكي الميلاد" بإعداد دراسات تقديمية مطولة لها، وهي حاليا أربعة مؤلفات، صدرت ضمن مشروع إعادة إصدار كتب التراث الإسلامي الحديث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، التاسع عشر والعشرين الميلاديين، والذي تشرف عليه مكتبة الإسكندرية في مصر

المقالات والدراسات:

نشر الأستاذ "زكي الميلاد" مئات المقالات، وعشرات الدراسات، في أكثر من (80) منبرا ما بين صحيفة ومجلة ودورية، يومية وأسبوعية وشهرية فصلية ونصف سنوية، صدرت في دول عربية وإسلامية وغربية.

الندوات والمؤتمرات:

شارك الأستاذ "زكي الميلاد" في الكثير من الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية والفكرية والأكاديمية، العربية والإسلامية والدولية، فاق عددها (90) ندوة ومؤتمرا .

عقدت في العديد من العواصم والمدن العربية والإسلامية والغربية. ونظمت بعض هذه الندوات والمؤتمرات والحلقات وعقدت في عدد من الجامعات العربية والمعاهد الأكاديمية، والمراكز البحثية.

تولى الأستاذ زكي الميلاد رئاسة الجلسات في كثير من هذه الندوات والمؤتمرات والحلقات، كما شارك مرات كثيرة في اللجان الخاصة بصياغة البيانات الختامية لهذه الندوات والمؤتمرات، وشارك كذلك في بعض اللقاءات التحضيرية لهذه المؤتمرات، وعضوية اللجان العلمية.

. نالت بعض أبحاثه المقدمة في هذه الندوات والمؤتمرات درجة امتياز في تقدير اللجان العلمية المحكمة، ووصفت بعض أبحاثه الأخرى بالتميز، واعتبرت بعض الصحف العربية أبحاثه بأنها الأكثر أهمية، وذلك في تغطيتها لأعمال هذه الندوات والمؤتمرات.

قدمت عن الأستاذ زكي الميلاد وحول أطروحاته أوراق بحثية في بعض الندوات والمؤتمرات في مصر والجزائر ودول أخرى.

في شهر أبريل 2013م قام الأستاذ "الميلاد" بزيارة إلى الجزائر التي دامت أسبوعا كاملا، قدم خلالها ثلاث محاضرات، في ثلاث جامعات، في ثلاث مدن، من مدن الغرب الجزائري، هي مستغانم ووهران وسعيدة تحدث فيها عن أطروحته في المقاربة بين الحداثة والاجتهاد.

الاستشارات العلمية و البحثية :

قدم الأستاذ زكي الميلاد الكثير من الاستشارات العلمية والبحثية، لكتاب وباحثين وطلبة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، من دول عربية عدة مشرقية ومغربية، وأكثر هذه الاستشارات تناولت تقديم مقترحات حول موضوعات للبحث في رسائل جامعية لمرحلة الماجستير والدكتوراه، وتقديم ملاحظات حول البناء المنهجي لهذه الرسائل، بالإضافة إلى مقترحات حول المصادر والمراجع. كما تم التعاون مع بعض الباحثين في إنجاز رسائلهم الجامعية من البداية إلى النهاية، وأشار هؤلاء إلى هذا التعاون في رسائلهم المنجزة.

المحاضرة الثانية : أسس ومرتكزات نظرية التعارف:

يرى الدكتور عبد الله إبراهيم أن الثقافة العربية الحديثة تشكو من" مماثلة "الثقافة الغربية ومطابقة تصوراتها ، ودعا الى ضرورة الاختلاف الثقافي بدل المطابقة الثقافية ، وليس المقصود ب " الاختلاف " الدعوة الى قطيعة الآخر والاستهانة به ، واختزاله الى مكون هامشي ، ذلك أن القطيعة لا تحقق إلا العزلة والانغلاق ، إنما الأمر يستوجب الدخول في حوار متكافئ مع الآخر ومساءلته معرفيا ومنهجيا بغرض الاستفادة منه[2] وليس الامتثال به . هذا التصور جعل مفكرين مسلمين يقترحون مفهوم "التعارف الحضاري" كمفهوم قرآني كمرحلة أولى قبل تبني مفهوم الحوار الحضاري.

فمن القواعد المتعارف عليها في علم الاجتماع أن التعارف مع الآخرين والاستئناس بهم يؤدي الى شيوع الأمن والسلم ، ونشوء العلاقات الاجتماعية التي تضبط حركة المجتمع وتوجه طاقاته فيما يعود على العامة بالخير ، وبالتالي يجد الإنسان المجال المنظم لإبراز طاقاته وقدراته الإبداعية ضمن وسط يكافئ عليها ، وان التنوع في الطاقات والجهود يعدد التنوع في الوسائل وأسباب المعاش . وان جهود من الناس لتقف عاجزة عن تحقيق كل أسباب معاشه ، كما أن احتكاك الطاقات والقدرات المبدعة يسّرع بعملية التحضر وتطوير الوسائل والإبداع فيها ، **وان السلام إذا أضيف إليه تعارف بين ناس مختلفين من حيث القدرات الروحية والذهنية والجسمية يؤدي الى الإبداع الحضاري والتنوع المعرفي**[3]

و أطروحة تعارف الحضارات هي الأطروحة البديلة عن الصدام والحوار الحضاري، وهو مفهوم يعبر عن رؤية إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم، حسب زكي الميلاد الذي أنجز أول عمل له حول تعارف الحضارات على صورة بحث نشر في مجلة الكلمة العدد 11، شرح فيه قيمة هذا المفهوم وتميزه واختلافه عن مفهومي صدام الحضارات وحوار الحضارات في صيف 1991 م. وتعمل هذه النظرية على احترام الناس و، احترام بعضهم البعض باختلافهم وتنوعهم الثقافي وتعددهم، واختلاف ديانتهم ومذهبهم و أعراقهم هذا ما يدعونا إلى لفت الانتباه لهذه النظرية التي تشع

بالتسامح والتواصل ونبذ الكراهية والقطيعة بين الحضارات إذ هي تدعو إلى التسامح والتعايش والتكافل والتعاون و وتنشر قيم السلم والسلام في العالم، ومن عوامل بروز النظرية في الحقل الفكري الانتقادات التي أصدرها زكي الميلاد بحق نظرية الصدام الحضاري ومنها رؤية زكي الميلاد أن المكون الحقيقي لنظرية هينجتون هو أنه ينطلق من خلفية الحفاظ على مصالح الغرب ، وضبط هيمنته على العالم ،و استمرارية تفوقه و هيمنته على العالم ن ولاشك أن هذه خلفيات شديدة التحيز غلى الغرب ، ولا تساهم إلى في تكريس الانقسامات في العالم، وترسيخ الفروقات بين الحضارات و هينجتون بهذه الخلفيات إنما يغلب السياسة على الثقافة والحضارة يجعل من السياسة الحقل الذي يشكل له الدوافع والتصورات ويحدد منهاجيات النظر و التحليل التي يتعامل بها مع الثقافة والتصورات ن ويحدد منهاجيات النظر و التحليل التي بها مع الثقافة والحضارة ، ولهذا يمكن القول أن نظرية هينجتون هي نظرية سياسية في الأساس حتى ولو كان مجالها هو الثقافة والحضارة.[4] كما أن هذه الدعوة لهنتنغتون هي تنبيه الغرب لان يقاوم صعود والتقدم الحضارات وهنا يكمن وجه الخطورة في نظرية صدام الحضارات حسب زكي الميلاد.

والمعادلة السليمة في تقدير زكي الميلاد "...هي أن الدعوة إلى تعدد الحضارات ينبغي أن ترافقها دعوة للحوار والتعارف بين الحضارات لا على صدامها وصراعها[5]".

وقد أحدث هذا المفهوم الإسلامي الجديد جدلا كبيرا في أوساط النخبة المثقفة، بين قبول وتخوف من قبل المفكرين، **فما المقصود بالتعارف وماهي مسلمات الميلاد في هذا الطرح؟**

إن التعارف والتأليف بين القلوب على مجموعة قواسم مشتركة ، من معتقد وتطلعات منطلق الحضارة الأول ، لأن المنجزات الحضارية هي دائما نتيجة جهود متناسقة مشتركة ولم تكن في وقت من الأوقات ثمرة جهود فردية[6].

للإجابة عنه قدم الميلاد عدة نقاط توضيحية تقف وراء اختياره لمفهوم التعارف في الآية 13 من سورة الحجرات. تحتوي هذه الآية على مضامين مهمة في تشكيل مفهوم التعارف بين الحضارات والأمم ، فالآية لم تقل ليتعارضوا أو ليتحاوروا أو ليتفرقوا أو ليتصادموا ، فمن بين كل هذه المفاهيم يأتي اختيار مفهوم " التعارف "كخصوصية جوهرية في هذا المفهوم ، خاصة أن مصطلحي الشعوب والقبائل لم يذكر إلا في هذه الآية نذكر منها:

- الخروج عن الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي والاحتجاجي بين مقولتي حوار الحضارات وصدام الحضارات، الإشكالية التي قد تضيق عمليات الفهم وتورث السجال[7]
- تجاوز إشكالية الجمود والتوقف أو الاقتصار على تلك المقولتين فحسب إلى نوع من التجدد والكشف من خلال مقولة جديدة ومختلفة .
- إن مفهوم تعارف الحضارات أوسع واشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات، فهو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها، والتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطورها.
- إن المشكلة بين الحضارات ليست في عدم الحوار فيما بينها وإنما في عدم التعارف، والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص، أو النمطية والسطحية في المعرفة، لذلك فإن كل حضارة غالبا ما تصور مشكلاتها مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة السليمة[8] .

الأسس الفلسفية لنظرية تعارف الحضارات :

- **الأسس الدينية**: لقد اعتمد زكي الميلاد على الاصل الديني المستوحى من القران الكريم في تأسيسه لنظريته، و في هذا الصدد جاء الحديث عن هذه الأسس الدينية والتي تتداخل مع

الجانب الحضاري في تكوين الأمة الإسلامية . فمن خصائص الحضارة الإسلامية التي تتميز بها أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة.

فالقرآن الكريم أعلن عن وحدة التنوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه. فالإسلام دين عالمي أو كوكبي، رغم ما يدعيه البعض من انه دين جزئي او اقليمي أحيانا .

وما أوضحه" سيد قطب"، في كتابه (في ظلال القرآن) من خلال الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات بقوله:«﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم.. من ذكر وأنثى .. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل . إنها ليست التناحر والخصام. إنما هي التعارف والوئام .فأما اختلاف الألسنة والألوان ،واختلاف الطباع والأخلاق ، واختلاف المواهب والاستعدادات ، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق ،بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات .وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله.

ويفترض في نظر "الميلاد" أن يكون للتصور الإسلامي رؤية أو مفهوم يُحدّدُ شكل العلاقات مع الأمم والمجتمعات والحضارات الأخرى ،والمفهوم الذي يتوصل إليه في هذا المجال ، ونزداد ثقة به وبقيمته المعرفية والأخلاقية والإنسانية هو مفهوم (التعارف) ،ويستند هذا المفهوم على أصل في القرآن الكريم ، الكتاب الذي خاطب الناس كافة ، وجاء رحمة للعالمين ، ويتحدد هذا الأصل في آية التعارف في قوله تعالى :﴿ يأيها الناس إِنَّا خلقناكم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وجعلناكم شُعُوبا وقبائل لتعارفوا إِنَّ أكرمكم عِندَ الله أتقاكم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِير﴾ . (الحجرات: 13) .

والمتأمل في هذه الآية يكشف لنا حسب "الميلاد" عن حقائق كلية ذات أبعاد إنسانية عامة،

- **الأسس الفلسفية:** لقد اعتمد زكي الميلاد على المقارنة والمقاربة بين مفهوم تعارف الحضارات ،ومفهوم التواصل عند "هابرماس" المفهوم الذي ينتمي إلى المجال الفلسفي ،وهي المقارنة

والمقاربة التي كشف وتحدث عنها "الميلاد" وحسب رأيه أن مفهوم التعارف يلتقي مع مفهوم التواصل في نسق معرفي مشترك. فكلاهما يتضمن بناء الجسور ، والوصول إلى الآخر وتجاوز الذات أو فلسفة الذات حسب تعبير "هابرماس"[**]، ويفترقان من ناحية المجال ، فالتواصل لأنه يرتبط بمجال المعرفة ، أو هكذا حاول "هابرماس" ربطه فتحددت علاقته بالعقل فهو تواصل بين العقول ، واستنهاض طاقات العقل وتحريكها في علاقة تفاعلية بين الناس . أما التعارف فيرتبط بمجال الاجتماع فتحددت علاقته بالمجتمع والناس.

فإن التعارف يتضمن مفهوم التواصل، فليس هناك تعارف بدون تواصل، لكنه يتجاوزه، بمعنى أن التعارف أوسع وأشمل منه، أما التواصل فقد يكون بتعارف أو بدون تعارف. والتعارف هو المفهوم الذي حدّده القرآن الكريم لشكل العلاقة بين الناس بعد أن توزعوا شعوبا وقبائل.

والفارق الرئيسي بين المفهومين أن مفهوم التواصل عند "هابرماس" يرتبط بحقل المعرفة أو هكذا حاول ربطه، فتحددت علاقته بالعقل . أما مفهوم التعارف فيرتبط بحقل الاجتماع، فتحددت علاقته بالمجتمع والجماعة والناس.

والنسب أو التجاور بين فكرة تعارف الحضارات ،وفكرة التواصل عند المفكر الألماني "يورغن هابرماس" ينطلق في نظر "الميلاد" من الخلفيات الآتية :

أولا– إن المقاربة بين مفهوم تعارف الحضارات ومفهوم التواصل ، تنطلق أساسا من خلفية انتساب مفهوم التواصل إلى حقل المعرفة الإنسانية ، وليس بوصفه مفهوما غربيا متطبعا بالثقافة الغربية ، ومتسلحا بالأيديولوجيا الأوروبية .

[**] " يورغن هابرماسJurgen Habermas (18 يونيو 1929) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر، اهتم بالنظريات الاجتماعية والسياسية وأخلاق الحوار والفعل التواصلي، تأثر بـ (دوركايم – ماركس– كانط– هايدغر) ، صاحب نظرية الفعل التواصلي .

ثانيا– إن التواصل فكرة سهلة وبسيطة مع ذلك تحوّلت إلى نظرية عرف واشتهر بها "هابرماس" في المجال الأوروبي والإنساني عموما ، وجرّت نقاشات فكرية وفلسفية لم تنقطع إلى اليوم . وهذا يعني أن فكرة تعارف الحضارات يمكن أن تتحول إلى نظرية لا تقل أهمية وقيمة في المحتوى الفكري والأخلاقي والإنساني من نظرية التواصل ، خاصة وأن فكرة التعارف تستند على أصل متين يرجع إلى القرآن الكريم ، والذي هو أصل الأصول عند المسلمين كافة .

ثالثا– بإمكان هذه المقاربة تقريب الكتّاب والباحثين والمثقفين عموما من فكرة تعارف الحضارات ، بوصفها فكرة جديدة بحاجة إلى نوع من العناية والالتفات ، وإلى تكثيف النقاش حولها ،ودفعها نحو المجال التداولي. ويمكن القول إن التعارف في المفهوم الإسلامي ، ليس صيغة فلسفية مجردة ، ولا متعالية ،ولكنه كما يقول "طه عبد الرحمان" هو مبدأ تواصلي جوهري يقره الإسلام ، وهو مبدأ التعارف ، ومقتضاه الإجمالي أن التواصل السليم لا يكون إلا بكلام طيب بين متكلمين كرماء[9] .

➢ مرتكزات نظرية تعارف الحضارات:

عالج الميلاد مرتكزات فكرة التعارف فيالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ . (الحجرات: 13). بواسطة طريقتين هما التحليل و التركيب و اللذان يفضيان إلى ذات النتيجة بأسلوب واضح، سلس ودقيق.

1. **الطريقة التحليلية**: و ذلك لمعرفة عناصرها و مكوناتها الجزئية و تتحدد كالتالي:

- أولا – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وقد جاءت هذه الآية بصيغة النداء، وهذا النداء موجه إلى الناس كافة، والناس هو المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم في التعبير عن اسم الجنس الإنساني.
- ثانيا – ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾، والمعنى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من رجل وامرأة فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانين لا تفترقون من هذه الجهة، والاختلاف الحاصل بالشعوب والقبائل، هو اختلاف راجع إلى جعل الإلهي، ليس لكرامة وفضيلة، وإنما لتتعارفوا فيتم بذلك اجتماعكم.
- ثالثا – ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ ﴾ ، الشعوب جمع شعب ، أي الجماعة الكبيرة من الناس الذي يصدق عليهم ماهو متعارف عليه في تقسيم الأمم والمجتمعات إلى شعوب ،وقبائل جمع قبيلة ، وهي أصغر من الشعب .
- رابعا– ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ ، إن الشعوب والقبائل مهما تعددت وتشعبت على امتداد مساحة الأرض المترامية الأطراف ، إلا أنها مطالبة بالتعارف فيما بينها ،كمبدأ في العلاقات المحلية والدولية ، الداخلية والخارجية.
- خامسا– ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ ،إن القرآن الكريم يدعو الناس إلى التفاضل بالتقوى .
- سادسا – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير ﴾ ، ذكر الدكتور " أحمد الشرباصي" أن العلماء فرقوا بين لفظي الخبير والعليم ، فالخبير يفيد معنى العليم ، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنة سمي خبرة ، وسمي صاحبه خبيرا . "فالله" سبحانه وتعالى عليم حينما خلق الناس من ذكر وأنثى ، وما خلق لهم في هذه الحياة ، وخبير حينما جعلهم شعوبا وقبائل ، وفي كل ما قدر لهم[10]

2.الطريقة التركيبية: وتتمثل فيمايلي"

- إن القرآن الكريم هو خطاب إلى الناس كافة، ، أي أنه صالح لكل زمان ومكان .

- التأكيد على وحدة الأصل الإنساني﴿ إِنَّا خلقانكم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ﴾، فالإنسانية بكل تنوعاتها العرقية والقومية، اللغوية واللسانية، الدينية والمذهبية، إنما ترجع إلى أصل واحد.
- إن القرآن الكريم يدعو الناس لأن ينظروا لأنفسهم بوصفهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض، مهما اختلفوا في اللون واللسان، ومهما تباعدوا في المكان.
- ضرورة أن يتعامل الناس فيما بينهم على أساس مفهوم الأسرة الإنسانية المشتركة أو الواحدة ، وهذا يعني التخلص من الأحقاد والعصبيات والعنصريات والإكراهيات بين الناس .
- إن التنوع والتعدد في الاجتماع الإنساني حقيقة موضوعية يؤكدها القرآن الكريم ﴿وَ جعلناكم شُعُوبا وَ قبائل﴾.
- يربط القرآن الكريم في هذه الآية بين وحدة الأصل الإنساني، وبين التنوع الإنساني، الربط الذي يفهم منه أن وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع ومن بلاغة القرآن الكريم تقديم وحدة الأصل على قاعدة التنوع ، لكي يكون التنوع متفرعا عن الأصل .

- استخدم القرآن الكريم كلمة (الخلق)، وكلمة (الجعل)، فما هو الفرق بين الخلق والجعل ؟ الخلق يعني الإيجاد ابتداء من العدم، من غير صورة سابقة أو نسخ أو مثال، وهذا لا يجري إلا في حق "الله" جلّت قدرته. و الإنسان لا يعد خالقا على الإطلاق في كل ما اكتشف واخترع. فالإنسان هو مجرد ناسخ من الطبيعة ومكتشف لقوانينها. أما الجعل فهو التقدير الذي يأتي بعد الخلق، ويتصل بتحديد الوظائف والخصوصيات، وما يترتب عليه الاقتضاء.
- يؤسس القرآن الكريم مبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات ،والتنوع بين الناس إلى شعوب وقبائل ،لا يعني أن يتفرقوا ، ،كما لا يعني هذا التنوع أو التعدد أن يتصادموا و يتنازعوا من أجل الثروة والقوة والسيادة وإنما ليتعارفوا .

- لا يكفي أن يدرك الناس أنهم من أصل إنساني واحد وينتهي كل شيء ، بل هم بحاجة إلى أن يتعارفوا ، ويصل بهم مستوى هذا التعارف بالشكل الذي يتحقق بين الأسرة ذات الأصل الواحد، وبالشكل الذي يصل بالعالم إلى مستوى يعيش فيه الناس كما لو أنهم أسرة إنسانية واحدة ذات أصل إنساني واحد .
- من دون أن يكون هناك تعارف بين الأمم والحضارات، لن يكون هناك حوار ولا تعاون. إن التعارف له دور وقائي في إمكانية إزالة مسببات النزاع والصدام بين الأمم والحضارات.
- حينما تحدّث القرآن الكريم عن التعارف، فإن هذا المفهوم يستتبع معه جملة من المفاهيم المتصلة والمتفاعلة والمتكاملة معه، كالانفتاح والتواصل والسلام ومدّ الجسور، ورفض الانغلاق والقطيعة والكراهية، والتي هي شرائط التعارف من جهة تحققه[11].

- إن المقصود من التعارف هو المعنى الأعم والأشمل ، يتجاوز الحدود السطحية المتعارف عليها ،فهو تعارف على مستوى الأمم والمجتمعات والحضارات ، ،ومعرفة كل ما يتوقف ويترتب عليه التعارف في هذا النطاق .
- لا يلغي القرآن الكريم مبدأ التفاضل بين الناس، وبين الشعوب والقبائل، لأن التفاضل إنما يعبر عن واقع موضوعي لا يتعارض مع مبدأ العدل والمساواة. والذي حاول القرآن الكريم تغييره هو نوعية قيم التفاضل ، بتغيير هذه القيم من قيم التفاخر بالأنساب والقوم والقبيلة والعشيرة والعرق ،إلى قيم تربط الأمم والحضارات بالقيم العليا والسامية ، ومحور القيم هو التقوى .
- لا تستطيع الأمم والشعوب أن تتعالى على الأحقاد والعصبيات إلا إذا التزمت بمبدأ التقوى.

- تتحدد شخصية كل أمة في كرامتها، والكرامة هي التعبير الحقيقي لوجدان كل أمة، وهي التي تشكل للأمم نظرتها إلى ذاتها، وإلى مكانتها وسيادتها وعزتها. وأكثر ما تصاب به الأمم حينما تتأثر في كرامتها، حتى قيل أن ألمانيا دخلت الحرب العالمية الثانية انتقاما من الإذلال الذي فرضته عليها دول الحلفاء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

- إن العلاقات والروابط بين الأمم والشعوب والحضارات في المنظور الإسلامي، ليست مجرّد مصالح ومنافع، وإنما ترتكز أيضا على القيم والآداب والأخلاق. والتقوى ترمز إلى منظومة القيم والأخلاق
- لن يستطيع العالم أن يعالج أزماته ومشاكله عن طريق السياسة ،أو عن طريق الاقتصاد والعلم . فقد بات من المؤكد أن العالم بأمس الحاجة إلى منظومة من القيم والأخلاق، وهذا من أشد ما يفتقده العالم المعاصر.
- إن التقوى باعتبارها الإطار الجامع للقيم والآداب والأخلاق بإمكانها أن تزيل العصبيات بكل أشكالها العرقية والقومية والطبقية ،وهذه العصبيات هي من أشدّ العوائق وسببا في انقسام الأمم والشعوب وتصادمها ، هذا من جهة السلب . أما من جهة الإيجاب ، فإن التقوى بإمكانها أيضا أن ترسخ التعارف وتحافظ على بقائه واستمراريته .
- من الحكمة أن يرتضي الناس وترتضي الأمم والحضارات ما يختاره "الله" سبحانه وتعالى لهم من سنن وقوانين وآداب وقيم وأخلاق في سعيهم لعمارة الأرض وبناء الحضارة ، لأن "الله" هو العليم الخبير .

المحاضرة الثالثة : أهمية وأهداف تعارف الحضارات:

نظرية تعارف الحضارات نظرية في صلب الحضارة العربية الإسلامية سواء من ناحية الضبط اللغوي أو من جهة المفهوم الاصطلاحي لذلك يقول زياد عبد الكريم النجم في مقاله (نظرية تعارف الحضارات نحو مخرج مفاهيمي يبرز خصوصية الحضارة العربية الإسلامية)" الأمة التي لا تبدع لنفسها أفكارها ورؤاها الخاصة بها لن تكتشف ذاتها بأبعادها الثلاثة، الماضي، الحاضر، المستقبل، ولن تشق طريقها نحو التقدم والإبداع". كان أول ظهور لفكرة تعارف الحضارات في صيف 1997 بحيث يقول الميلاد :"أنجزت أول عمل حول تعارف الحضارات على صورة بحث، نشر في مجلة الكلمة العدد السادس عشر شرحت فيه قيمة وتميز هذا المفهوم، وكانت هذه أول محاولة في نحت واستعمال هذه التسمية التي دخلت المجال التداولي العربي منذ ذلك الوقت [12]". ويضيف زكي الميلاد شرحا مفصلا لانطلاقة مشروع تعارف الحضارات شارحا مراحل تبلور فكرته وفق المراحل:

- ✓ وفي العام 1999م أصدرت كتابا بعنوان المسالة الحضارية، وكيف تبتكر مستقبلا في عالم متغير ضمته بحث تعارف الحضارات
- ✓ وفي سنة 2002 م شاركت في الندوة الدولية التي نظمها مكتبة الملك عبد العزيز العامة حول الإسلام وحوار الحضارات وقدمت لهم بحث بعنوان من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات.
- ✓ وفي بداية عام 2003 ، طلب الأستاذ حسين آل حمادة أن نجري حوار تخصصه بأكمله لأطروحة تعارف الحضارات وأجرينا هذا الحوار ونشر في مجلة الحج والعمرة السعودية في أيار مايو 2003،ولقي هذا الحوار اهتماما ومتابعة [13].
- ✓ وفي سنة 2006 م أصدرت كتابا يحمل التسمية نفسها (تعارف الحضارات) جمعت فيه المقالات والكتابات التي تناولت هذه الفكرة واتخذت من التعارف الحضارات عنوان له.

- ✓ ويؤكد الميلاد شمولية هذه النظرية وتكاملها فيعبر: نظرية تعارف الحضارات التي اعتبرتها نظرية شاملة ومتكاملة لعدة اعتبارات، لن نعيد تكرارها ، فقط يمكننا القول أنها تتميز بكل خصائص النظرية سواء من ناحية المبادئ ، أو إثبات حقائق ، أو المساهمة في بناء فكر جديد ، فنظرية تعارف الحضارات انطلقت من مرتكزات قرآنية لتصل إلى تأكيد حقيقة أن الناس خلقوا مختلفين لكنهم من أصل واحد ، كما أنها تعد إضافة إلى الفكر الحضاري في العصر المعاصر".
- ✓ نظرية تعارف الحضارات متكاملة البناء ذلك أنها مست جميع مناحي الحياة الدينية منها ، وذلك بربط الميلاد نظريته بالأصل القرآني ، أما الأساس الثقافي فيتضح في دعوة الميلاد إلى تعارف الثقافات وانفتاحها على بعضها مع الحفاظ على القيم الدينية والهوية الثقافية الخاصة بكل حضارة.
- ✓ أما عن رأي الدكتور زياد عبد الكريم النجم فيما يخص نظرية تعارف الحضارات فهو يرى أن لها دورين أساسيين هما:

- الدور الأول يتضح في كونها الحل الذي يمكن من خلاله الدخول في علاقة حوار مع الآخر إذ يقول النظرية حلقة وسيطة بين الوقع الحالي للحضارات وبين الدخول بالحوار الحضاري الفاعل والمثمر بالصورة التي دعا إليها غارودي، إذ التعارف شرط للحوار.
- أما عن الدور الثاني فهو يخص النظرية في حد ذاتها التي تشكل منهجا متكاملا، سواء من حيث المنطلقات، والأهداف التي تدور في فلك ربط العلاقة مع الآخر وذلك بالاعتراف به والتعرف عليه وقبول التعايش السلمي معه.
- نظرية تعارف الحضارات من النظريات الإصلاحية في الفكر العربي المعاصر، وذلك لمحاولة صاحبها إرساء معالم علاقة جديدة بين الحضارات، فهي مسألة هامة من المسائل الفكرية المعاصرة كونها ترتبط برسم وتحديد ماهية العلاقة بين الحضارات وترتبط بفلسفة الحضارة.

- نظرية تعارف الحضارات إضافة إلى كونها قد قدمت الحلول المناسبة لمشكل العلاقة بين الحضارات فهي أيضا تجسيد للدور العربي الإسلامي ومكانته في ظل التحديات الراهنة.
- والمفهوم الذي نتوصل إليه، ونزداد ثقة به وبقيمته المعرفية والأخلاقية والإنسانية هو مفهوم التعارف، لأن منشأ هذا المفهوم هو القرآن الكريم. حيث ورد في قوله تعالى في سورة الحجرات الآية 13 والتي أصبحت معروفة ومتداولة لدينا.

أهمية نظرية التعارف:

1. التقارب والتسامح:

يقتضي التعارف الإيجابي بذل كل طرف من أطراف التعارف جهدا كافيا للتعرف على ما يقربه من الطرف الآخر الذي يشاركه نفس التطلعات، فيبحث القائمون على التعارف في ثقافاتهم وحضاراتهم عما يقرب بينهم من الأشواق والآمال والانجذاب نحو كل ما هو إنساني[14].

أن فكرة التسامح هي من الكلمات التي تتصل بالتراث الديني الإسلامي ، وبالخبرة الإسلامية ، فهي من الكلمات التي استعملت وصفا للشريعة فنقول الشريعة السمحة. لذلك فنحن في أمس الحاجة للتسامح ، خاصة إذا نظرنا إلى التقدم الذي أحرزته بعض الدول الإسلامية التي تبنت المفهوم مثل سنغافورة ، فعلى الرغم من كونها مزيج من مجموعات بشرية متنوعة تنتمي إلى أصول وعرقيات مختلفة إلا أنها استطاعت الالتزام بمبدأ التسامح[15].

2.التعايش السلمي: إن الاسلام يسعى وفق منهج التعايش السلمي في تقبل الاختلاف و التنوع من خلال اشاعة ثقافة الحوار ، و توضيح التصور الاسلامي الرافض لتسويغ العنف او ممارسته ضد الاخر.

3.فك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع: إن هناك حاجة شديدة الى التعارف الحقيقي بين الشعوب العربية و الاسلامية و الغرب و ذلك من خلال دعوة الطرفين الى التخلي عن عقيدة

الخوف التي تفسد أي حوار و في هذا الصدد يبرر زكي الميلاد قائلا:" لأن الحضارة الغربية الحديثة بنيت على الصراع والهيمنة فأهلكت الحياة، وما يزال الصراع هو المحرك الأساس لسياسة الغرب و أفضل نموذج له السياسة الأمريكية القائمة على ضرورة خلق العدو الذي يسمح للفرد بنعمة الحرية الشخصية ، ولتجاوز هذا الأمر يتطلب لقاءات ومحاورات مستمرة بين النخب المفكرة لشتى الحضارات والمجتمعات المعاصرة تراجع فيها الكثير من المفاهيم التي أصبحت من المسلمات في المنظومة الفكرية الغربية والتخلي عن نزعة الاستئثار بتحديد المفاهيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان والحرية و التطور والتنمية وغيرها[16].

4._**معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه:** قصد معالجة عقد الاستعلاء. و الحقد والتخلف و اللاإنسانية فمن مهام التعارف الحضاري و أهدافه التي ينبغي أن تكون محل عناية شديدة من جانب النخب المتعارفة و المتحاورة، الارتفاع مستوى مجتمعات ما بعد الاستعمار المتخلفة إلى مستوى الحضارة، و الارتفاع بمستوى الرجل المتحضر المتلطخ بإثم الاستعمار إلى مستوى الإنسانية.

5. **تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض:** فهو من أسس العلاقات الدولية و مبدأ من مبادئ السلام العالمي المنشود .

6. **احترام الخصوصيات الحضارية التي تميز كل حضارة عن الأخر:** ان المهمة العاجلة للتفاعل الحضاري هي ان يشارك المسلمون بصورة جماعية مع باقي الحضارات في ايجاد مجتمع عامي جديد يراعي الخصوصيات و طبيعة الثقافات و انماط التقاليد.

المحاضرة الرابعة: أهم الانتقادات والتحفيزات لنظرية التعارف لزكي الميلاد:

- تقول الكاتبة السعودية سهام القحطاني: نحن نقف أمام ثلاث نظريات تشبها لمغلقات، أولها صرا الحضارات...وحوار الحضارات...وتعارف الحضارات التي تبناها المفكر زكي الميلاد...إن تعارف الحضارات هي نظرية إنشائية بمعنى أن القاعدة فيها هي الإنشاء وليس الإخبار فقد جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين الناس كافة حينما انقسموا إلى شعوب وقبائل كما يذهب زكي الميلاد..
- قال الميلاد في بداية مشروع نظرية التعارف " أنه بإمكان فكرة تعارف الحضارات أن تتحول إلى نظرية لا تقل أهمية وقيمة... خصوصا وأنها تستند إلى أصل متين يرجع إلى القرآن الكريم" وبالفعل تحولت إلى نظرية معترف بها دوليا.
- وقد استشهد الدكتور حسين مؤنس في كتابه (الحضارة) بآية التعارف لزكي الميلاد وهي الآية 13 من سورة الحجرات. ويعقب الدكتور مؤنس على هذا الرأي بقوله: القد خرج المؤرخون الغربيون بهذه النتيجة بعد جهد وعناء، في حين أننا معاشر المسلمين والمتكلمين بالعربية ، نفتح القرآن الكريم فنجد أنه أجمل ذلك كله في آية واحدة من آياته، { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**}.

حضور هذه الآية والاستشهاد بها والالتفات إليها في الأدبيات العربية والإسلامية يكاد ينحصر ويتحدد في نطاق التذكير بها أو مجرد الإشارة إليها، من دون التعمق في استجلاء دلالاتها، أو استكشاف مكوناتها، أو إمكانية ابتكار مفهوم منها، يكون اصيلا ومحكما بشرائطه العلمية وقواعده الاصطلاحية.

وهذه ملاحظة منهجية ومعرفية ترتبط عموما بعلاقة الباحثين والمفكرين والمؤرخين بالقرآن الكريم وعلوم التفسير ومناهجه، وإمكانية التعامل معه كمرجع يرجع إليه في حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية. وترتبط هذه الملاحظة عند البعض بعوامل نفسية وفكرية ذات علاقة بطرائق التعامل مع القرآن الكريم، وكيفية الرجوع إليه ، والاستنباط منه[17]. والتأمل الفاحص لهذه الآية يكشف لنا عن حقائق كلية ذات ابعاد إنسانية عامة، نتوصل منها لمفهوم نصطلح عليه بتعارف الحضارات. والتعارف هو المفهوم الذي حاولت هذه الآية تحديده و تأكيده وإبرازه والنص عليه. من خلال سياق وخطاب يؤكد على قيمته و جوهريته ، الآن يكون مفهومة اساسية. وذلك من خلال الحقائق التالية :

1- **الخطاب في سورة الحجرات متوجه بشكل صريح إلى المؤمنين** في بداية السورة وفي خاتمتها – باعتبارها من السور المدنية – إلا في هذه الآية الثالثة عشرة حيث توجه الخطاب إلى الناس كافة بصيغة (ياأيها الناش)، الأمر الذي جعل بعض المفسرين يعتبر هذه الآية مكية. وكون الخطاب متوجها إلى الناس فهو ناظر إليهم بكل تنوعهم وتعددهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم، وإلى غير ذلك من تمايزات ومفارقات.

2- **التذكير بوحدة الأصل الإنساني** (انا خلقناكم من ذكر و انثى) فالناس بكل اختلافاتهم وتعدداتهم وتباعدهم في المكان والأوطان إنما يرجعون في جذورهم إلى أصل إنساني واحد. والقصد من ذلك أن يدرك الناس هذه الحقيقة ويتعاملوا معها كقاعدة إنسانية وأخلاقية في نظرتهم إلى أنفسهم، وفي نظرة كل أمة وحضارة إلى غيرها كما لو أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض[18].

3- **الإقرار بالتنوع الإنساني** (و جعلناكم شعوبا وقبائل) وهذه من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات

حقيقة اجتماعية وقانون تاريخي. فالله سبحانه وتعالى بسط الأرض بهذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوبا.

حقيقة اجتماعية وقانون تاريخي. فالله سبحانه وتعالى بسط الأرض بهذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوبا وقبائل، ويعيشوا في بيئات وجغرافيات ومناخات وقوميات مختلفة، لكي يعمروا هذه الأرض ويكتشفوا خيراتها و يتبادلون ثرواتها ويجعلوا منها بيتة مشتركة وآمنة ومتمدنة للجميع. علما بأن القرآن الكريم لم يذكر في كل آياته عبارة (شعوبا وقبائل) إلا في هذه الآية.

4- خطاب إلى الناس كافة، وتذكير بوحدة الأصل الإنساني، وإقرار بالتنوع بين البشر. فما هو شكل العلاقة بين الناس؟ من بين كل المفاهيم المحتملة في هذا المجال، يتقدم مفهوم التعارف (ليتعارفوا). فتنوع الناس إلى شعوب وقبائل وتكاثرهم وتوزعهم في أرجاء الأرض، لا يعني أن يتفرقوا وتتقطع بهم السبل، ويعيش كل شعب وأمة وحضارة في عزلة وانقطاع. كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادم الناس و يتنازعوا فيما بينهم من أجل الثروة والقوة والسيادة، وإنما (ليتعارفوا).

ولا يكفي أن يدرك الناس أنهم من أصل إنساني واحد فلا يحتاجون إلى التعارف. أو أن يتوزعوا إلى شعوب وقبائل ويتفرقوا في الأرض فلا يحتاجون إلى التعارف. ولأن التعارف بين شعوب وقبائل أي بين مجتمعات وجماعات، لذلك جاز لنا استعماله في مجال الحضارات الاستعمال الذي نتوصل منه إلى مفهوم واصطلاح تعارف الحضارات).

ويمكن أن يكون التعارف ناجحا عن طريق :

- ✓ تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بحضارة الآخر وحضارته ، كما يساعد على التلاقي في مواطن الاتفاق .
- ✓ البعد عن التلفيق الديني سواء كان ذلك التلفيق صريحا أو رمزيا ، لأن الهدف ليس القضاء على الاختلافات.

- ✓ حسن اختيار المتحاور بأن يكون متخصصا في الموضوع لكي يكون قادرا على التعبير الصحيح على إنشاء مراكز بحث ودراسات متخصصة في الجامعات والمعاهد تعنى بقضية الحوار وتعمل على الاتصال بمراكز مماثلة لتقدم المعلومات الصحيحة.
- ✓ وفي الأخير يمكن القول أن " التعارف الحضاري " طرح كفيل بأن يذلّل العقبات التي واجهتها مبادرة " حوار الحضارات " منذ أزيد من نصف قرن ، حيث يمكن لكل طرف من التخلص من الأحكام المسبقة عن الآخر واكتشاف الصورة الحقيقية بكل إيجابياتها وسلبياتها ، وهو الأمر الذي يجعل البشرية تخطو خطوة أولى نحو " مجتمع عـــالمي " يحتـــرم الاخـــتلاف المفاهيم العامة المتصلة بالنظرة القيمية للحياة والإنسان والسلوك الأخلاقي في واقع الحركة الإنسانية ، مما يجعل الإنسان المسيحي واعيا بالخلفيات التي تكمن وراء تصرفات الإنسان المسلم في أوضاعه وعلاقاته العامة والخاصة ، كما يجعل الإنسان منفتحا على الإنسان المسيحي في ذلك كله[19].

الهومش:

---

[1] – مقالة من الموقع الالكتروني نفسه:[**http** : // **www.Almilad.org**]

[2]– ابراهيم ، المركزية الغربية ، مرجع سابق، ص6.

[3]– لحليح،ص449.

[4]– زكي الميلاد: **المسالة الحضارية– كيف نبتكر مستقبلنا في علم متغير؟**،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،ط2،بيروت، لبنان،ص63.

[5] –زكي الميلاد، **الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلام وقضياه ومشاكله إشكاليته** ،دار العربية للعلوم ،ناشرون،ط1 ،بيروت ، ص65 بتصرف

[6] – محمد سعيد رمضان البوطي : **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم** ، دمشق: دار الفكر، ص 149.

[7] -زكي الميلاد: **نحن والعالم** سلسلة كتاب الرياض138، مؤسسة اليمامة الصحفية، ط1، الرياض، 2005 ص 93.

[8] -. زكي الميلاد: **المسألة الحضارية– كيف نبتكر مستقبلنا في علم متغير؟**،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،ط2،بيروت،، 2008، ص145.

[9] – محمد كمال الدين إمام ، مصطلح تعارف الحضارات (رؤية إسلامية حوار مع "زكي الميلاد") ، ضمن كتاب تعارف الحضارات (رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات) ، مؤتمر تعارف الحضارات ، من تنظيم مكتبة الإسكندرية مع مركز الحوار بالأزهر ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة في 18/ 19 ماي 2011م ،الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية، 2014م، ص : 208 .

[10]–[10] زكي الميلاد: **المسألة الحضارية (كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟)**، ص ص (92 – 95).

[11] – زكي الميلاد: (المسألة الحضارية)، المصدر السابق، ص (95 – 97).

[12]– زكي الميلاد: نحن والعالم من اجل التجديد لرؤيتها للعالم، ط1، سلسلة الختامي 136، مؤسسة البداية الصحفية، اليمن، 2005 ص 95-96.

[13]– زكي الميلاد: نحن والعالم من اجل التجديد لرؤيتها للعالم،ص18.

[14] –محمد مراح : **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات** ، مصدر سابق ، ص93.

1. [15] – زكي الميلاد: دفاعا عن فكرة التسامح ، مركز الإشعاع الإسلامي. www.almilad.org/page/sira.php **الموقع الإلكتروني للأستاذ زكي الميلاد** :

[16]–محمد مراح: (**نحو رؤية اسلامية لتعارف الحضارات**)،**زكي الميلاد**(**تعارف الحضارات**)،ص ص(93-95 بتصرف).

[17] –حسين مؤنس: الحضارة : **دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة 237،، ،1998ص50.

[18] – تعارف الحضارات .زكي الميلاد .دمشق .دار الفكر.2007. ص 62.

[19] – العسال حمد محمود:**حوار الحضارات، مدخل إلى رؤية اسلامية** .القاهرة: مكتبة وهبة، .، ص 23.

قائمة المصادر :

- زكي الميلاد وآخرون : **تعارف الحضارات**، ط1، دمشق – سوريا، دار الفكر، 2006م
- زكي الميلاد: الإسلام والإصلاح الثقافي، مركز آفاق للدراسات والبحوث، ط 2 ، 2006 م.
- زكي الميلاد: الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلامي وقضاياه ومشاكله وإشكالياته، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2007م.
- زكي الميلاد: المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي بيروت، ط 2 ، 2010م.
- زكي الميلاد: **مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر**، مجلة الكلمة، بيروت –لبنان، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد: 7، السنة الثانية، ربيع 1995م/ 1415هـ،

المراجع:

- أحمد عبد الرحيم السايح: (فلسفة الحضارة الاسلامية)، د.ط، مطابع الاهرام، النيل، مصر، 1989.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس (الأجزاء: 26- 30)، ط 9، بيروت والقاهرة، دار الشروق، 1980م.
- مالك بن نبي: (شروط النهضة)، تر : عبد الصبور شاهين ، ط4، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1986.
- وليد محمد عبد الناصر: **حوار الحضارات**، ط1، نهضة مصر، مصر، 2007.
- موقع زكي الميلاد: الموقع الالكتروني نفسه :[**http**: // **www.Almilad.org**]

المحور الرابع: حوار الأديان

المحاضرة التمهيدية : في معنى حوار الأديان:

نعود من جديد في هذه المحاضرة إلى مسائلة حول معنى الحوار ومعنى الحضارة ومعني حوار الحضارات لنصل إلى الهدف المرجو وهو حوار الأديان في ظل التنوع الحضاري السائد في هذه القرية الكونية وعيه نعاود التذكير ب:

معنى الحوار في اللغة: مراجعة الكلام وتداوله، والمحاورة: المجادلة، والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، ومنه قولهم: لم يحر جوابا أي: لم يرد ولم يرجع الجواب فمرجع الحوار للتخاطب والكلام المتبادل بين اثنين فأكثر، ويقال أيضا: لحِوَار في اللغة: الحوار مشتق من الحَوْر وهو الرجوع. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَّنْ يَّحُورَ﴾(4: سورة الانشقاق)، فالمعنى اللغوي للحوار هو مراجعة الكلام والحديث بين الطرفين، ومنه المحاورة بمعنى المجاوبة ومراجعة الكلام. فإذا أضيف إلى الأديان أصبح معناه ما يدور من الكلام والحديث والجدال والمناقشة بين اتباع الأديان.

والحوار الحضاري هو عنوان للمواطنة الإنسانية القائمة على أسس راسخة من الفهم والتفاهم والتسامح والتعايش والاحترام المتبادل للتعددية الثقافية وللخصوصيات الروحية والثقافية والحضارية للأمم والشعوب[1]"

وقد عرف حوار الأديان على أنه:" أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات، التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر بطريقة موضوعية، تبين ما قد يكون بينهما من تتلاق أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرف بمعتقداته في جو من الاحترام المتبادل والمعاملة التي هي أحسن، بعيدا عن نوازع الشك والتجريح، بل ما يرجى منه هو إشاعة المودة وروح المسالمة والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام للبشرية[2] .

وحوار الأديان حسبما سلف مفهوم واسع يشمل أصنافا متنوعة بتنوع أطرافه وأهدافه وموضوعاته ووسائله والجهات المشرفة عليه؛ وسنمثل لهذه الأصناف بنموذجين هما؛ حوار الأديان العقدي أو اللاهوتي، وحوار الأديان الواقعي و من هذه الأصناف: حوار الأديان الأخلاقي، حوار الأديان التوافقي، حوار الأديان العملي، حوار الأديان المؤسساتي، حوار الأديان التاريخي، حوار الأديان التبشيري[3].

ومما ورد في كتاب "حوار الأديان نشأته وأصوله وتطوره": المراد بحوار الأديان جميع الحوارات التي تجري بين معتنقيً أديان مختلفة، أفرادا أو جماعات، شفوية كانت أو مكتوبة أو مرقونة، رسمية كانت أو أهلية، عامة كانت أو خاصة عقدية كانت أو واقعية[4].

وقد حاول بعض الباحثين بيان المراد من حوار الأديان ؛حيث اعتبر يوسف الحسن في حديثه عن الحوار الإسلامي المسيحي نموذجا، أن حوار الأديان "هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات التي تزيد من معرفة كلّ فريق بالآخر بطريقة موضوعية تبين ما قد يكون بينهما من تلاق أو اختلاف مع احتفاظ كلِّ طرف بمعتقداته في جو من الاحترام المتبادل، والمعاملة بالتي هي أحسن بعيدا عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح، بل ما يرجى منه هو إشاعة المودة وروح المسالمة والتفاهم والوئام والتعاون فيما يقع الـتوافق عليه من أعمال النفع العام للبشرية[5].

إضافة إلى ذلك هناك من يعتقد أنه "يخفف من حدة الصراع الديني ويقلل من فرص اللجوء إلى الحرب لأسباب دينية ويدفع إلى مناخ من التسامح الديني وقبول الاختلاف في الاعتقاد وإشاعة السلام[6]".

لذلك تدخل فيه مدارسة كافة القضايا المتعلقة بالواقع المشترك بينً الأديان، سواء محلياً أو وطنياً أو دولياً ، سياسياً واجتماعياً واقتصاديا وأمنيا، كقضايا الأقليات وحقوق الإنسان والسلم العالمي وغيرها. لذلك فالحوار يحتاج إلى شروط عدة منها: شرط الحرية، وشرط إرادة الحوار العاقل المنتج والمتوازن وشرط العدالة. ومن ثم لا يمكن لأي مجتمع أياًكانت عقيدته أو مذهبه أن يعزل ثقافته عن شروطها الزمانية

والمكانية؛ والمعرفية والاجتماعية. وإن كان الحوار اصطلاحا هو نظام لغوي للتخاطب بين المتحاورين يعتمد الكلمة ويتضمن رسالة ذات مضمون ما ،فإن مفهوم الحوار يختلف عن مفهوم الجدل؛ وإن كانا يلتقيان في جوانب المراجعة الكلامية، إلا أن النقاش في الجدل غير مثمر؛ وقد ينتهي إلى نتيجة عقيمة، أي إذا دخل الحوار في باب الجدل الصرف والهيمنة المستبدة فإن الأطراف المتحاورة ستسقط في أتون المعاندة ويضيف المفكر اللبناني علي حرب أن " وحوار الأنا والآخر على نظافة الواسع يشمل حوار الحضارات الذي يستدعي استمرار التسامح والانفتاح واحترام الخصوصيات، والاختلاف والتخفيف من التبشير العقائدي و الأدلجة و المصلحية مما يضر كثيرا أو قليلا بوجود الآخر[7]".

وعن بعض أنواع الحوار الديني يقول أحد الباحثين عن الحوار الديني العقدي أو اللاهوتي أنه "الحوار الديني الذي يجعل من عقائد المتحاورين موضوعا للنقاش بقصد تحقيق الفهم المتبادل من جهة، وتغليب وجوه الصواب والخطأ فيما علق ببعض المفاهيم العقدية من رواسب التفسير البشري التّاريخي، ويعتمد بالأساس على الحجاج والإقناع العقلي ويفترض فيه أن يبتعد عن الانفعال والذاتية [8]

والأولى في التحاور هنا الاستناد إلى العقل والمنطق والحجة والبرهان للوصول إلى هدفه والنهي عن الجدل العقيم لقوله تعالى: { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن} (سورة النحل 12/16).

ورحَّب بالاستماع والإنصات، واختيار ما هو أفضل للمستمع على يوافق أن الحق كل الحق. [9] وإن كانت الفرضية الأولى ترى: أن الدعوة للحوار بين الأديان بمعناه الجديد جاءت من النصارى وليست من المسلمين. وهذا الشعار للحوار بين الأديان هو في الأساس شعار من قبل الغرب للتعايش السلمي والتسامح والتقارب. و هذا يدلّ على أن الغرب يشعر بالحاجة إلى الأمان بعد قسوتهم و ظلمهم وجورهم على المسلمين لمدة طويلة، و بدأ الغرب هذا الحوار لنشر دينه وثقافته و للمصلحة

التبشيرية له رغم ادعاءاتهم المتكررة بأن الحوار يخفف من حدة الصراع الديني ويقلل من فرص اللجوء إلى الحرب لأسباب دينية ويدفع إلى مناخ من التسامح الديني وقبول الاختلاف في الاعتقاد وإشاعة السلام العادل كما ذكر حسن خليفة سببا خلافا لبعض الأطراف الدولية والتي ينطلق جزء منها من أساس ديني لتكريس مزيد من الصراع خوفا من التقارب الذي يحصل في بعض المناسبات على أساس بعض القيم الحضارية ؛ وبين هذا وذاك تم الإقرار بإدارة الحوار من قبل العالم الغربي، بمعناه المضلّ، استطاع عن طريقه أن يقنع المسلمين بفكره الذي يريد، فصار يطالب بالحوار بين الأديان على أساس أن يقبل أتباع كل دين الدين المخالف لهم كما هو، و أن يكون البحث أثناء الحوار عن مواطن الاتفاق، والبعد عن مواطن الاختلاف، و أن يكون التعاون من أجل السلام العالمي، والتعايش العالمي، وترك المعاداة، ونحو ذلك من القيم الظاهرة المرجاة التحقق.

- ✓ و من خصائص هذا النوع من الحوار كما يبشر بها الغرب بأنه هو البعد عن التلفيق بين عناصر الأديان، وتجنب البحث والمناقشة في المسائل العقدية الشائكة، والتجنب عن مقاصد التجريح، والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام فعل الصالحات والنافعات للبشرية، ومواجهة الطغيان، و التعرف على الآخر كما يريد أن يُعرف، التعاون على تحقيق القيم المشتركة وكذلك التعاون حول قضايا العدل والمستضعفين، والشعوب المضطهدة، والأوطان المحتلة، وقضايا الفقر والمرض... و ما إلى ذلك.
- ✓ ومن خصائص الهامة لهذا النوع من الحوار- كما يبينها الغربيون- هو التأكيد على المحبة والمودة، والإخاء والصداقة، والثقة والاحترام المتبادل، وروح المسالمة والتفاهم والوئام.

فإن محمد مهدي شمس الدين في تعريفه لحوار الأديان إلى الكشف عن أهداف هذا النوع من الحوارات، وهي أهداف تتوزع –حسبه- بين هدف ترسيخي لمعتقد الطرف المحاوِر، وآخر تبشيري به، لذلك

فحوار الأديان يكون في رأيه "لأجل تحقيق مكسبين؛ أحدهما تعزيز مركز كلّ دين في وجه أتباعه، وتوفير القناعات الكافية لديهم بأن عقيدتهم تمثل الحق المطلق، وثانيهما اجتذاب أتباع الدين الآخر وحملهم بالإقناع العقلي على اعتناق الدين الجديد والتخلي عن صيغة إيمانهم القديمة[10].

- ✓ فإن الفرضية الثانية : ترى أن هذا الشعار جاء وفقط، لإثارة الشكوك بين المسلمين تجاه دينهم الإسلامي والعقائد الإسلامية، و اتخذ الحوارَ وسيلةً للتشكيك في شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). و إن الغرب قد أعلن الحوار خصوصاً مع المسلمين لكي يتفق المسلمون مع المسيحية من جهة، وفي جانب آخر لكي تحصل الكنيسة على شهادة واعتراف لصحة دينها. وإن هذه المعاني و الأهداف مبينة من قبل الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي .

- ✓ **الفرضية الثالثة:** تتمثل في الحوار الديني الإسلامي وهو الدعوة إلى الله ، المفهوم الإسلامي لهذا الحوار هو الحوار مع أتباع الأديان الأخرى للدعوة إلى الطريق الصحيح والخالق الحقيقيّ لهذا الكون، ولإيضاح صحة نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومحاسن الإسلام العظيمة، وبيان ما هم عليه من الباطل، وهذا الحوار مطلوب شرعاً وهذه الدعوة تكون مع البيان والبرهان و الحجة و الحكمة. والحوار في الإسلام هو في الحقيقة الدعوة إلى الإسلام، والقيام بحجته و حجيته، لتوضيح الصورة الصحيحة لعقائد الإسلام وآدابه وأحكامه، وإيضاح محاسن الإسلام لهم، وبيان ما هم عليه من العقائد الباطلة، وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد و معرفة الله، و هذا الهدف من أعظم ما يدعو إليه الإسلام، وهذا النوع من الحوار هو مطلبٌ ملحٌ و هدف شرعي مطلوب.

المحاضرة الثانية :سؤال الأديان في الحوار مع غير المسلمين

والحوار مع غير المسلمين ينقسم إلى:

- ✓ **الحوار في الشؤون الدنيوية**: وهي لا تتعلق بالشؤون والمعتقدات الدينية. و هذا النوع من الحوار هو للتعايش السلمي والتسامح، و الصلح والمعاهدة وهذا الحوار ما يسمى بالمفاوضات، و هو مسموح عند الإسلام بل ضروري للتعايش السلمي.**ويقصد به أيضا** حوار **التعايش أو التسامح بين أتباع الأديان**: المقصود بحوار التعايش هو: الحوار الذي يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، ويهتم بالقضايا المجتمعيّة كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهاجرين، واللاجئين ونحو ذلك. وحوار التعايش يكون في العادة بين الدول التي تمارس الحياة العملية، ولا مجال له بين الأديان إلا من هذه الزاوية.

ومن خصائص هذ الحوار أنه لا علاقة له بالدين، إنه يقتصر على الحوار فيما يتعلق بالمعيشة بين أهل الأديان، و يتعلق بالحياة البشرية وحاجاتها الفطرية، وإنه لا يتضمن محبةً أو ولاءً، أو اعترافاً بصحة دين الآخر أو تزكيةً له أو مدحاً، بل هو قاصر على الأمور الدنيويّة وفي حدود الحاجة البشرية. و يهدف هذا الحوار إلى السعي لإيجاد التعايش بين أصحاب الديانات المختلفة و التقلب الأمني في الأسفار والحرية في الحياة كلها، بعيدًا عن أجواء التوتر والشحناء والخصومات.

موقف الإسلام تجاه هذا النوع من الحوار :إنّ من أهم الأهداف الغربية للحوار بين الأديان هو فكرة حوار التقريب بين الأديان، وإن هذه الفكرة سائدة و جارية على الساحة العالمية والمحلية، و من المعلوم إن هذا الهدف لا يتفق مع فكرة الدعوة إلى الإسلام على أساس أنّ الإسلام هو الدين الصحيح، وأنّه هو الدين المهيمن على سواه من الأديان، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة/48).

وأنّ الإسلام له المركز الأرقى، وهو الدين الصحيح، فالإسلام أحق أن يُستَمَع ويُحتَكَم و أن يُدعَى إليه، فلا يجوز الحوار للتقارب بين الأديان، بحيث أن تؤخذ الشؤون المتفقة عليها وأن تُترَك المسائل الخلافية، وفي ذلك خروج عن خط الإسلام الصحيح. ولا يجوز التنازل عن شيء في الإسلام قلَّ أم كثر، قال تعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ...) (المائدة/49).

✓ **الحوار في الشؤون الدينية** : و هذا النوع من الحوار له أيضاً أشكال عديدة:

➢ **حوار الدعوة إلى الله:**

قال الله تعالى :﴿قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:64).

و قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(فصلت:33)

وتستند شرعيةُ الحوار في الإسلام و الدعوة إلى الله تعالى إلى آيتين كريمتين أولاهما: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:64)، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل:125). ولذا فلا مجادلة في مشروعية هذا النوع من الحوار؛ لأنه من أعظم سبل الدعوة إلى الإسلام.

وبالإضافة إلى ذلك إن لغة القرآن تعتبر لغةَ الدعوة و الحوار، ويدل عليه أسلوب القرآن الرائع الذي يخاطب الناس جميعاً بألفاظ النداء مثلاً: يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، يا عبادي... وكذلك تواصل وتمارس هذه الدعوة و الحوار السنة النبوية. و أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أيضاً مارسوا عمليةَ الحوار والدعوة.

وقد قام بالحوار بين الأديان بهذا المعنى الشرعي الدعوي المطلوب الأنبياءُ الكرامُ في حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم بطرق مختلفة وأساليب عديدة.

و إذا كان الحوار لوناً من ألوان الدعوة والبيان، فعلى المسلمين أن يذهبوا إلى غير المسلمين و أن يدعوهم إلى دار السلام و الإسلام. ومن لوازم الدعوة أن يكون القول لينًا، قال تعالى لنبيه موسى – عليه السلام – وهو يرسله إلى مدعي الربوبية «فرعون»: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: 42- 44).

- **حوار الدعوة إلى شريعة غير الإسلام:**

طبقاً للعقائد الإسلامية الثابتة الصحيحة إن المسلمين يؤمنون ويُجمعون على:

* أن الدين الحق هو دين الإسلام، وأنه خاتم الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:85).

* وأن القرآن الكريم هو آخر كتب أنزله الله تعالى، وأنه ناسخ لجميع الكتب من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، والقران الكريم مهيمن عليها. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءهُمْ عَمَّا جَآءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة:48).

* و أن التوراة والإنجيل قد نُسِخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ﴾ (المائدة:13)، ولهذا فما كان من هذه الكتب صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل.

* و أن نبينا ورسولنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الأحزاب:40.(

فنظرًا إلى هذه الأصول و العقائد الثابتة نقول إن الحوار بين الأديان – في المنظور الغربي – بكل أنواعه الذي هو في الحقيقة وسيلة تنصيرية واستعمارية، ومناورة سياسية لتحقيقهم بعض المكاسب، أمر باطل. و الإسلام يخالف هذا النوع من الحوار، سواء كان الحوار أو الدعوة إلى شرائع و أديان أخرى غير الإسلام أو الدعوة إلى اللادينية؛ لأن الدين عند الله هو الاسلام فقط، و تبليغ الديانات الأخرى مرفوض كلياً عند الإسلام، فلا حوارَ للدعوة إلى الديانات الأخرى غيرِ الإسلام .

- **حوار الوحدة بين الأديان:**

وحدة الأديان هو الحوار من أجل الوصول إلى القول بصحة جميع المعتقدات والديانات، دون أن يتخلى كل دين عن عقائده وشرائعه الخاصة به. إن الدعوة إلى وحدة الأديان هي دعوة قديمة، دعا إليها بعض الزنادقة.

ومن خصائص هذا النوع من الحوار- كما يزعم أتباع هذ الحوار- هو العمل على المساواة بين كتب الديانات كلها. ومن ذلك الدعوة إلى طباعة المصحف الشريف والتوراة والإنجيل في كتاب واحد بين دفتين، و بناء مجمع لأماكن العبادة يضم مسجداً وكنيسة، وتبادل الزيارات بين عمار المساجد ومرتادي المعابد، وإقامة الصلوات المشتركة في أماكن العبادة لمختلف الأديان، سواء بـ صلاة يشترك فيها الجميع، أو بأن يصلي كل واحد صلاة الآخر وغيرها من الشعائر التعبديّة. والهدف وراء ذلك هو أن تزول الجفوة وتلد المودة.

والجدير بالذكر إن هذا النوع من الحوار ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الوحدة الصغرى: وهذه الوحدة خاصة بالأديان الإبراهيمية: وهي الإسلام واليهودية والنصرانية. و أتباع هذه الوحدة يدعون إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والأماكن العامة، وهم يدعون إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد.

والنوع الثاني: الوحدة الكبرى: وهذه الوحدة شاملة لجميع الأديان و الشرائع، والملل الوثنية، بل والملحدين. ويهدف هذا النوع من الحوار إلى عدة أمور منها: إلغاء تقسيم الناس إلى مسلم وكافر، فلا ولاء ولا براء، والقول بصحة جميع الأديان، وأنها طرق لتحقيق غاية واحدة، وتحقيق المصالح المشتركة.

حكمه :ومن خلال الخصائص لهذا النوع من الحوار يتبين أنه كفر خالص و ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنه تصطدم مع أصول الاعتقاد؛ و لأن هذا النوع من الحوار هو تكذيب للقرآن والسنة في تكفير اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان والشرائع، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: 19)، ويقول تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:85).

وإن هذا النوع من الحوار هو الدمج بين الأديان، والخلط بين الملل، والسعي إلى إيجاد إطار مشترك يمسخ خصوصياتها العقدية فهو عدوان على الملل جميعاً، بل هو الغش الديني والثقافي، وإن هذه الفكرة ضد العقائد والمبادئ الإسلامية وهي بأن الإسلام قد جاء ناسخًا للشرائع السماوية السابقة فلا يجوز بأي حال القول بأن كل الأديان السماوية عند الله سواء. وإن فكرة الوحدة بين الأديان فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من القرآن والسنة وإجماع الأمة الإسلامية.

- **حوار الاتحاد/التوحيد بين الأديان:**

هو الحوار الذي يتم فيه التقاط أو انتقاء عناصر من كل دين، ثم دمجها سوياً، وتتخذ ديناً، وتترك تلك الأديان، كـ ديانة الإسلام ، والديانة البهائية.

تعتبر فرقة البهائية من أبرز من يدعو إلى توحيد الأديان، وتسمى الدين الملفق بالديانة العالمية، والذي تبشر به البهائية وتدعو إليه، وتعتقد أنه الدين الناسخ لجميع الأديان السابقة، والذي يمكن أن يوحد به العالم، ويعطي له السعادة والراحة والاطمئنان. فالبهائيون ينادون بدينهم أن يتحد العالم على دين واحد، ويصبح جميع الناس إخواناً، و أن تتوثق عرى المحبة والاتحاد بين الناس، وتزول الاختلافات الدينية.

حكمه :والحكم لهذا النوع من الحوار واضح فهو دين آخر غير دين الإسلام، وهو كفر أكيد و ردة شنيعة، ومناقض لأصل الدين وهو الإقرار لله تعالى بالتوحيد ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) بالنبوة الخاتمة.

موقف الإسلام تجاه هذا النوع من الحوار :لم ترد لفظة التعايش والتسامح في القرآن أو السنة، ولكن ورد لفظ البر والإحسان والقسط. فهذا النوع من الحوار الذي يتعلق بالعلاقة المعيشية بين معتنقي الأديان، و الذي يهدف إلى تحسين العلاقة بين شعوب أو طوائف، و الأقليات الدينية، فإن الإسلام

يرحب به، ويدعو إليه من خلال الإحسان والبر والقسط، ولا يتنافى مع نصوص الشرع الناهية عن موالاة الكفار، قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهٰكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوآ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:8).

ومفهوم التسامح والتعايش في الإسلام هو: التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف وفق الضوابط الشرعية، فإذا حارب أو اعتدى فعلى المسلمين أن يحاربوه. وهو حسن المعاملة، والعيش بصورة ملائمة بين كافة المجتمعات مع الاختلاف الديني والفكري والثقافي، والتعايش بهذا المعنى بين اتباع الأديان المختلفة لا يرفضه الإسلام. هذا النوع من الحوار جائز لا إشكال فيه، وهو خاضع للسياسة الشرعية العملية. وقد تفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود وعاهدهم، وصالح المشركين في الحديبية، وكذلك الصحابة الكرام تفاوضوا مع أهل الأديان المختلفة فيما يخص دنياهم ومعاشهم، ولا يزال هذا الأمر موضع اتفاق.

وقد عامل المسلمون أهل الملل الأخرى معاملة كريمة بلا خداع ولا ظلم ولا تعسف... وقد عاش في المجتمع المسلم: اليهودي والنصراني والمجوسي وغيرهم في داخل الدولة الإسلامية، من غير أن يُفرض المسلم على أحد لغته أو دينه أو ثقافته أو مبادئه أو موازينه بالقوة.

و إن هذا الحوار يهدف إلى تحقيق المصالح الحياتية المشتركة بين البشر و روابط مشتركة فقد جعل الله الأرض مشتركاً و جعلها لعباده الأبرار والفجار و المسلمين والكفار جميعا. فقال تعالى ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن:10).

إن التواصل ضروري بين الناس على تنوع دياناتهم وعقائدهم، وتعدد أفكارهم، وتباعد قيمهم، و تنوع ثقافاتهم وميولهم ومقاصدهم، وهذا التنوع آية ربانية. و العيش الكريم يحتاج إلى التعارف و هذا

يحتاج إلى الحوار والعلاقات، قوله تعالى: ﴿يآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية 13).

و إن هذ الحوار لا يتضمن شيئاً من التنازل عن أمر من أمور الدين، بحجة الترغيب لهم في الدخول في الإسلام، أو إعطاء صورة حسنة عن الإسلام، أو بأي تعليل آخر. وإن هذا الحوار الذي شجع عليه الإسلام يبنى على تكريم بني آدم، و إقامة العدل و الإنصاف مع كل الناس. والعدل أساس عظيم من أسس الإسلام، و الإسلام لا يفرق بين المسلم و الكافر في العدل، و أن العدل و البر و القسط لا يستلزم الاعتقاد بما يدين به أتباع الأديان الأخرى، ولا يقتضي مخالفة المسلم لما يعتقده من أن الإسلام ناسخ لما سبقه من الملل. و كذلك إن هذ الحوار يبني على التزام الحكمة في المعاملة، وهي وضع الأمر في موضعه ومقامه الصحيح اللائق به، الموافق للمنهج الرباني، ولطبيعة النفس الإنسانية.

الخلاصة:

* إن عبارة الحوار بين الأديان عامة تتضمن صورًا وأشكالاً و أهدافاً عديدةً، بعضُها حق و البعضُ منها باطل.

* إن الحوار بين الأديان بمعنى الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأهداف الإسلامية و هو هدف شرعي مطلوب.

* إن الحوار بين الأديان بمعنى الدعوة إلى شريعة غير الإسلام مرفوض كلياً عند الإسلام؛ لأن الدين عند الله الإسلام.

* إن حوار التقارب بين الأديان يتضمن أمورًا مخالفةً ومناقضةً لمنهج الأنبياء في الدعوة والحوار، مثل اعتقاد إيمان الطرف الآخر، و التأكيد على المحبة و المودة، وعقيدة الولاء والبراء و غيرها.

* إن حوار الوحدة والتوحيد بين الأديان يتضمنان أمورًا منافيةً لأصل الدين والعقيدة الإسلامية.

* إن حوار التعايش بمعنى البر والإحسان صحيح عند الإسلام بضوابطه الشرعية.

و بالجملة قبل أن نخوض في إدارة أي حوار يجب علينا أن نضع في الاعتبار صورًا و أشكالاً عديدةً لأن لا نُخادع في المقاصد؛ لأن الحوار بين الأديان متنوع بحسب أهدافه وأغراضه منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل ولذلك فإن حوار الأديان لا يرد مطلقاً؛ لأننا بذلك نرد الحق الذي فيه. ولا يصح أن ننفي المعنى الصحيح في الحوار بسبب استعمال البعض له في الباطل ولكن المنهج القويم هو ردُّ المعنى الباطل وإبراز المعنى الصحيح؛ ولأن في ظهور المعنى الصحيح تبيينٌ للحق وتصحيحٌ لما حصل في هذا الموضوع من الخلط والتخبط بسبب البعد عن مفهومه الشرعي الصحيح. و الجدير بالذكر إن المصدر الأول- في سبيل الحوار و في كل شؤون الحياة – هو القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم طبيعة الحال و آراء الأئمة والعلماء الذين اجتهدوا في العصور المختلفة لاستنباط الأحكام الشرعية.

ومع هذا فإن العلاّمة محمد حسين فضل الله حيث قال أنه من الضروري أن نتبنى في الدائرة الثقافية الإسلامية والمسيحية برنامجا علميا وفكريا للدراسات المشتركة والتي تمنح كل طرف معرفة أصول الآخر وفروعه ، إضافة الى ذلك نتناول بالدراسة المفاهيم العامة المتصلة بالنظرة القيمية للحياة والإنسان والسلوك الأخلاقي في واقع الحركة الإنسانية.

الهوامش :

[1] -عبد العزيز عثمان التويجري: **حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو- المملكة المغربية- الرباط,2016،ص22.

[2] - يوسف الحسن: **الحوار الاسلامي الفرص والتحديات**، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط،1 ،1991 ص 13.

[3]– انظر التفاصيل في: عبد الحليم آيت أمجوض: **حوار الأديان (نشأته وأصوله وتطوره)**، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط– المغرب، 2012 ، ص–79.

[4] –عبد الحليم أيت أمجوص، **حوار الأديان، نشأ ته و أصوله وتطوره**، دار الآمان للنشر والتوزيع ودار ابن جزم، الرباط ،بيروت، ط،1 ،سنة2012، ص 78.

[5]– يوسف الحسن: **الحوار الإسلامي المسيحي: الفرص والتحديات**، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي،1977،ص13.

[6] – محمد خليفة حسن :**لحوار بين الأديان أهدافه و شروطه والموقف الإسلامي منه** ، ص11.

[7] –علي حرب: **العالم ومأزقه ،منطق الصدام ولغة التداول** ،ص 288.

[8] – عبد الحليم آيت أمجوض :المرجع نفسه, ص.9

[9] – مالك بن نبي : **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة .** دار الفكر/ الجزائر . ودار الفكر/دمشق سورية . ط 3 1988م.

[10] – محمد مهدي شمس الدين: **الحوار الإسلامي المسيحي، نحو مشروع للنضال المشترك**، مؤسسة الإمام شمس الدين للحوار، بيروت،2004، ص14.

المحاضرة الختامية:

سؤال الكرامة الإنسانية، الاعتراف الوحدة البشرية وضرورة العيش المشترك

تمهيد: من أجمل ما وصف به البشر أنهم " هم مركز الكون ومعناه، وبالتالي فهم يمتلكون قيمة أكبر حتى من قيمة الملائكة، فالبشر –من خلال أوجه نشاطهم وتفكيرهم– يعطون للحياة جوهرها[1]."

ومن أجمل ما يجمع البشر ببعضهم البعض هو الأنس أو المآنسة، يقول ابن مسكويه: "الأنس ضرورة تستوجب تحقيق وضعية الأفراد المتفرقين يؤلفون جماعة متصلة بانسجام، إلى درجة أن يكون بفضل هذا الانسجام يشعرون مثل فرد واحد، أن يكون كل الأعضاء يتنافسون معًا في إنتاج نفس الفعل النافع له"[2]، وكما يقول الفيلسوف الألماني اي إيمانويل كانط–) Kant Immanuel (1724 1804في مشروعه السالم الدائم حيث تكمن قدرة الإنسان على تغيير اجتماعه الطبيعي إلى اجتماع واع و معقلن، ويضمن العيش بين الذوات المختلفة التي تحقق الاحتكاك بين الثقافات والذهنيات المغايرة بعيدا عن النزاعات التي تؤدي للتنافر بين الذات والآخر.

لكن السؤال المطروح هل يتحقق هذا ، وكيف نتجاوز أنانية الإنسان إلى إنسانية الإنسان والعيش المشترك وغيرها من المفاهيم التي لا تتحقق في أرض الواقع إلا بنسبة وبدرجات متفاوتة؟

وهل تحقق الإنساني على نحو كوني مشروط إذا بامتحان مدى قابلية التحديد الذي يمكن إن نظفيه على دلالة هذا الإنساني بضمان العيش المشترك بشكل يتوافق مع رهان الكلي أي فضح

جميع الوضعيات التي لا تجعل من الإنسان قيمة مقدسة ولا تجعل من قيم الحق والعدل والجمال والخير قيما مطلقة تؤسس الوجود الإنساني وتضفي عليه المعقولية؟.

ان ما يشهده العالم في العقدين الأخيرين من تحولات سريعة ونوعية دفع الكثير من المفكرين والعلماء الى القول بأننا أمام مرحلة تاريخية جديدة بكل المقاييس الحضارية ، فإلى جانب التحولات السياسية من تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار المعسكر الشيوعي ، هناك انفجار أحداث كثيرة في مناطق ودول من قارات العالم ، إضافة الى التحولات المذهلة في مجالات الإعلام والاتصالات ، وهو ما يعرف بثورة المعلومات ، وتدفقها الضخم على العالم، مما ولّد ضغوطا نفسية واجتماعية، أفقد الجغرافيا معناها التقليدي وجعل مصطلح السيادة محدودا في معناه، هذه التحولات جعلت الشعور بوحدة هذا الكوكب حقيقة ، ويظهر ذلك من خلال سرعة التعرف على ما يجري في العالم والإحساس بمشكلات قد تتجاوز حدود الدول مثل الإرهاب والمخدرات والأوبئة والجريمة المنظمة.[3]

أصبح من العار والعيب تداول المحافل الدوليّة والثقافية وهيئات المجتمع المدنية والسياسية مصطلح الكرامة الانسانية، و التغني بمدى ارتباطها بحقوق الأفراد، وضرورة حماية كرامتهم بدون أي مقابل، ونحن نشاهد الحروب والدمار يحيط بنا في العالم الإسلامي (غزة وتخبطها الدائم في خضم القصف الصهيوني)، تضارب المصالح والمنافع وما يحدث من حرب بين روسيا وأكرانيا والأمثلة على هذا كثيرة وكثيرة جدا. هل تعتبر الدساتير والقوانين والنظم والمنظمات الدولية على اختلاف مشاربها **أن كرامة الإنسان المجرم تساوي كرامة الإنسان العادي،** لأن البشر جميعهم لهم نفس الكرامة الانسانية، وأن كل هاته الدساتير تنص على أن الكرامة هي حماية نفس وجسد ومال الإنسان من الانتهاك أو الاحتقار أو السرقة أو التعذيب وما شابه ذلك.؟

وإن كان الإيرلنديون أوّل من أدخل مصطلح الكرامة الإنسانية إلى الدستور عام 1937م، حيث كُتب في الفقرة الأولى من المادة الأولى من الدستور الألماني عبارة (كرامة الإنسان هي أمر لا يمس

به، يجب احترامها وحمايتها وهي واجب كل سلطات الدولة)، بمعنى أن الألمان جعلوا كرامة الإنسان حق للمواطن وواجب على الدولة تجاهه يجب عدم المساس به، **فهل طبق هذا على شعب فلسطين؟**

وشعوب أخرى مضطهدة لا تعرف عن المصالحة ولا الحوار ولا التعارف من نظريات فلسفية إلا شعارات لا تغن من جوع.

✓ **سؤال الكرامة الإنسانية مفهومها و مآلاتها:**

تترجم باللاتينية إلى dignitas ويقصد بها "في المعجم الاجتماعي "السماحة ".

واذا ترجمنا هذه الكلمة في المعجم الوسيط نجدها تعني "الكرم والسخاء ".

فالمقصود منها أن تجمع الانسان والآخر علاقات إنسانية تكون أساسها الكرم والمؤاخاة فهذا فعل إيجابي لتطور الأمم ؛ لأن الانسان هو النواة الأساسية في هذه الحياة.

و إذا ولجنا في المعجم الفلسفي فنجد الكرامة المقصود منها" أنَّها الحالة التي يبحث عنها الانسان ليعيش عظمته، وهي مرتبطة بطبيعته الروحية "، في ظل الكونية والعالمية والعيش المنفتح على الذوات والحضارات والأمم المختلفة ، **وهنا نطرح السؤال: ما الكونية؟ وما العلاقة بين مفهوم الكونية ومفهوم الكرامة الإنساني؟.**

تكمن كرامة الإنسان المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية، فهي حق لصيق بالإنسان منذ وجوده، وقد وردت في صميم الإعلان العاملي لحقوق الإنسان الذي أقر في العام 1948، بهدف أن يكون وثيقة دولية تضم قيما مشتركة بين جميع الشعوب والأمم، تعكس ما يطمح إليه بعمق كل إنسان، وما يمثل شروطا لإرساء قواعد المساواة والعدل والحرية والسلام في المجتمعات[4].فيعرفها فيلسوف الكرامة كما يسميه العديد من الفلاسفة ايمانويل كانط " الكرامة إنها القيمة التي تورث الشخص الإنساني الحق في التمتع بمعاملة تجعل منه غاية بذاته، لا مجرد وسيلة لغيره[5]. كما أن مبدأ الكرامة الإنسانية هو حق ثابت للإنسان دون سواه من المخلوقات الأخرى، ولا يمكن التصرف ففيه أو

تجزئته، ولا بتبدل ولا بتحول، ولا ينقص ولا يزيد، ولا يحق التنازل عنه أو المساومة فيه. بأيّ حال من الأحوال، وتحت أيّ ظرف من الظروف؛ و بعامل الإنسان على أساسها، وهي حق الحقوق الإنسانية اللصيقة بالذات الإنسانية، ومقصد مقصود لذاته وليس وسيلة لغيره.

فما حاول أن يؤسس له كانط هو أن مبدأ الاعتراف بأن لكل شخص كرامة فريدة بمعاملة تجعل منه غاية بذاته ، لا مجرد وسيلة لغيره " ولا يمكن أن نساومها بأي ثمن لأن ليس لها قيمة محددة ، بل كرامة الانسان غير محدودة ولذلك لا يمكن استبدالها بشيء آخر مساو لها في القيمة ، فمفهوم الكرامة الانسانية يتطلب عدم إضفاء الطابع المادي على الكائن البشري وجعله أداة يمكن تداولها ، كما نجد أن طه عبد الرحمان في كتابة سؤال العمل ، يقر أن المحدثين والعلمانيين لم يوجدوا تعريف محددا للكرامة وهذا راجع لوجود بعض المفاهيم التي تتضمن مبادئ مثل مفهوم الحق ومفهوم الواجب كلها مفاهيم إنسانية ذات صبغة قيمية لذلك لم تحدد الفلسفات السابقة ولا حتي التيارات الفلسفية تعريفا محدد لها. إلا أنه وفي النظم السياسية المعاصرة وفي مجال العلاقات الدولية نجد أن معظم الدساتير الأوروبية والعربية تكرس مبدأ احترام الكرامة الإنسانية:

- ✓ فأول الدساتير نجد الدستور الايطالي 1947 الذي يقر بالكرامة الفرد الاجتماعية والمتساوية لجميع المواطنين.
- ✓ أما الدستور الألماني 1949 يكرس عدم المساس بكرامة الكائن البشري وتلتزم جميع السلطات العامة على احترامها وحمايتها من أي انتهاكات مهما كانت نوع الانتهاكات.
- ✓ الدستور البلجيكي يقر بموجب التعديل الذي طرأ عليه 1994 لكل شخص أن يعيش حياة مطابقة ومنسجمة مع الكرامة البشرية
- ✓ الدستور البلغاري 1991 يجعل من حقوق الشخص وكرامته وأمنه مبدأ جوهري بالإضافة إلي الجمعيات والمواثيق التي جاءت مناهضة لما حدث للإنسان في الحروب وبعض الانتهاكات السياسية للأفراد، فكلها جاءت مساندة للإنسان وكرامته الانسانية لغرض الحفاظ عليها.

- ✓ كمثل ذلك أيضا الإعلان الذي ورد في طوكيو 1975 على الباحثين قبل اجراء التجارب على البشر ان يحددوا المشروع الذي ينوون إنجازه في محضر تجريبي يعرض ، لأجل المراقبة والتوجيه على لجنة مستقلة ، هذا ما يدل على أن العديد من المواثيق الدولية وضعت على عاتقها وجوب أن تجعل من الكرامة الانسانية مبدأ أساسي لأنه واجب ومطلب أخلاقي قبل كل شيء

وفي رؤية أممية اتّسمت بالتركيز على حماية أمن الإنسان وضمان ما ينبغي أن يتمتّع به النّاس من حرية وأمان، عرفتها لجنة الأمن الإنساني بأن "حماية الجوهر الحيوي لحياة جميع البشر بطرائق تعززها حريات الإنسان و تحقيق الإنسان لذاته[6]". إذن لابد من إيجاد حلول بديلة للولوج إلى " مجتمع عالمي " تسوده بيئة فكرية للتعايش بين أنماط ثقافية مختلفة ووسط حضاري لممارسة فن التواصل بين الهويات "، والقشاء على التعايش السلبي ، فقد أثبتت التجارب الحوارية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى والى غاية نهاية الحرب الباردة أن تجاهل مختلف العقبات التي تحول دون الحفاظ على مكانة الإنسان كإنسان له حقوق وعليه واجبات سيجعل الحوار لا جدوى منه إن لم يكن مستحيلا.

أما مفهوم الكونية من الناحية الحضارية، فقد أخذ معاني اختلفت باختلاف الحضارات، ولعلّ فيلسوف الحضارة أرنولد توينبي هو من ضبط مفهوما عامّا للكونية بعدّها كل حضارة تنجح وتستمر ،فيتوسع مداها ليشمل حضارات أخرى تذيبها في كيانها وتتحوّل معها إلى حضارة عامّة، وبالتالي فالمقصود بالكونية هنا حسب توينبي وجود حضارة واحدة مهيمنة على باقي الحضارات تطبعها وفق طابعها الخاصّ [7].

كما يرى توينبي أنّ كل دولة عالمية تتحوّل إلى حضارة كونية؛ لأنّ الكيان السياسي لدولة واسعة لا بدّ أن بتفكك، وتبقى الحضارة التي تنشأ داخل حدودها وتتجاوز تلك الحدود، وهذا ما حدث لكلّ الدول العالمية من دولة المصريين القدامى إلى دولة الغرب المسيحي اليوم؛ فالغرب المسيحي حسب توينبي قطع دور الدولة المسيحيّة، ودخل في دور الحضارة الكونية .

وكما ذكرنا من قبل ، يعدّ الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" من أكثر الفلاسفة عناية بمسألة الكونية وعلاقته بالكرامة الإنسانية في الفكر الفلسفي الحديث من خلال "**فكرة مشروع السلام الدائم**"، ودعا من خلاله إلى رؤية كونية تكون دفاعا عن الإنسانية عن طريق إنشاء حلف بين الشعوب والأمم المختلفة[8] . وبرر كانط موقفه من خلال قوله :"يبدو أنّ الطبيعة نفسها تقدّم لنا بعض الضمانات الإيجابية، فقد جعلت الأصقاع الجرداء مناطق سكن، وجعلت الشعوب التي تستطيع أن تعيش مجتمعة تكتفي بنفسها على رتبة واحدة...وجعلت الأمم على المبادلات التجاريّة التي تخرجها من عزلتها الأولى، وتجعلها تتقارب تقاربا سلبيا في البحث عن المصالح المشتركة[9]"

موقف عبد الجبار الرفاعي من مفهوم الكرامة الإنسانية

يرى المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي أن الكرامة هي وعي الإنسان بالحرية، وحيث إن كل رسالة تحررية في التاريخ البشري تستمد قيمتها ومشروعيتها من قدرتها على استرداد الكرامة البشرية المهدورة، بل إن المعيار الكلي لاختبار إنسانية أي دين هي كيفية تعاطيه وإعلائه للكرامة الإنسانية، والموقع الذي تحتله منظومة الكرامة لديه [10]ولهذا فهي قيمة أصيلة، وتبدأ الكرامة بالفرد لتنتهي بكرامة الأمة.

ويعتقد الرفاعي أن التيارات اليسارية والقومية والأصولية تورطت في مفارقة استغفلت فيها بأن كرامة الأمة تتقدم على كرامة الفرد، وفي مرحلة لاحقة اختزلت كرامة الأمة بكرامة الزعيم وحده. الرفاعي يعتقد بعلوية وتقدم كرامة الفرد، لا كرامة لأمة لا كرامة لأفرادها، ويعرفها بأنها تمثل وعي الإنسان بالحرية، ويراها تمثل مقاما وجوديا، معتمدا على صورة الإنسان التي ترسمها آيات القرآن الكريم، ويضعها في مخططات ترسم تلك المعالم الأساسية.

ثم يرى بأن المصير المشترك للعالم يفرض قيما واحدة، مع العولمة التي جعلت مصائر المجتمعات واحدة، وحيث لم تعد الجغرافيا تمثل تحديا أو خطا فاصلا للمحلي والعالمي، أصبحت منظومة

الأخلاق الشرعية غير كافية لمواجهة فضاء التحديات، ويرى مثل تحدي وباء كورونا يمثل قصة لبكاء الأرض بعد أن استباحها الإنسان وبدد غطاءها الأخضر.

وفضح هشاشة العالم وأعلن الحاجات العميقة للقيم في الحياة وضروراتها الأبدية لحماية مصير البشرية المشترك. يرى الرفاعي الكرامة والكونية هما المعيار الذي تتحدد على أساسه القيم الأخلاقية، بمعنى أن هذه القيم شاملة، وأنها قانون يصلح للتعميم، ويرى أن جميع هذه المجتمعات أمام هذا التحدي. ويؤكد أن كرامة الإنسان تهدر حيثما تهدر حريته.

يدين الرفاعي الاستعباد ويعتبره أبشع انتهاك للكرامة الإنسانية، حيث يرى الرفاعي وفق المنظور المعاصر بأن الاستعباد غير العبودية الطوعية، حيث أكثر ما يتفشى في المجتمعات العبودية الطوعية، التي يرضخ فيها الناس باختيارهم بعد تدجينهم لبشر يستعبدونهم .

الكرامة هي القيمة المركزية في حياة البشرية، ولهذا فإن الإنسان يرفض بطبيعته الاستعباد؛ لأن جوهر إنسانية الإنسان هي كرامته، وجوهر كرامته هي الحرية، وجوهر الحرية هي المسؤولية .

وفي الأخير يدعم عبد الجبار الرفاعي مواقفه بحجج دينية وبمكانة الدين الإسلامي في صقل مفهوم صحيح ودائم للكرامة الإنسانية قائلا :" وحيث إن الإنسان غاية كل دين، وكل دين لا تكون غايته الإنسان ليس إنسانيا، فإن جوهر إنسانية الدين هو حماية الكرامة ورفض كل إشكال التمييز بين الناس، لكون الكرامة قيمة أصيلة، ولا تعني الكرامة عدم الإهانة فقط، بل إن عدم الإهانة هي أحد الآثار المترتبة على حضور الكرامة، وثمرة من ثمرات تحققها في الحياة البشرية، بكون الكرامة قيمة كونية[11].

والخلاصة أنه لو إنّ أهمية مقاصد الكرامة الإنسانية والأمن الإنساني بأبعاده المختلفة إذا نظرنا إليها نظرة شرعية فيّ ضوء النصوص الشرعية ومقاصد الشريعة الإسلامية؛ نجدها قد تجاوزت الحق الإنساني المجرّد كقيم إنسانية مجرّدة؛ لتجعلها سننا كونية وفرائض إلاهية، وواجبات شرعية، وضرورة

من ضرورات الحياة الطبيعية؛ لتحقيق مراد الله تعالى في خلقه، وحسن الاستخلاف في أرضه واستقامة الحضارة والعمران وفق مقاصد شرعه.

لكن هل فعلا حق الكرامة الإنسانية في أرض الواقع مستمد من القوانين الشرعية أو الوضعية وهل تطبق هذه القوانين؟

إن مفهوم الحق في الخطاب المعاصر أخذ منحى آخر من خلال الظروف التي شهدها العالم التي تتضمن تلك السلبية في الخطاب والمعاملة، وهذا ما جعل الانسان يفكر في ذاته كونه انسان ولديه حق طبيعي للحفاظ على ذاته كما يقول جون لوك: "**حق الحفاظ على ممتلكات الحياة** "، فمفهوم الحق اختلف حسب منظور كل فيلسوف ووجهة رأيه في الجانب الحقوقي للإنسان. فما هي الأسس التي انبثقت عليها فكرة حقوق الانسان؟ وكيف ساهم التفكير الفلسفي في تطوير هذا المبدأ؟ وأين يكمن الجانب الايتيقي في الاعلان العالمي لحقوق الانسان، قبل الحديث عن كرامة إنسانية من منظور عملي.

ونتساءل أيضا أين الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان؟ وأين هو المجتمع الإنساني المنفتح على بعضه البعض في ظل بروز فكرة الخطر الأصفر في عالم الشرق؟، وقد تجلى ذلك من خلال الصورة الساخرة والمهينة التي رسمها الأدب الغربي لشعوب شبه القارة الصينية واليابانية حيث تم وصفهم بأنهم " قصيري القامة ذي وجوه صفراء يكتفها الغموض والخداع .ناهيك عن توصيف الأوضاع التي تعيشها المجتمعات الشرقية من التخلف والفقر وازدراء لمكانة المرأة.

موقف فرانسيس فوكوياما من قضية الكرامة الإنسانية والعيش المشترك :

لم يكن اسم فرانسيس فوكوياما معروفا في أوساط الباحثين بدراساتهم المعمقة في أيّ حقل من حقول المعرفة الإنسانية، حتى ألقى هذا الشباب محاضرة بعنوان "**نهاية التاريخ**"، وطور أفكارها في كتابه

الصادر حديثا في باريس بعنوان "نهاية التاريخ وخاتم البشر عام 1992 م لتحدث هذه الأطروحة بعدّها ضجّة إعلامية وفكرية وفلسفية، وتقوم أطروحة نهاية التاريخ على فكرة أساسيّة مفادها أنّ التاريخ البشري ينتهي ويقف عند حدود الدولة الليبرالية الحديثة ففكرة نهاية التاريخ لا تعني نهاية حقبة وبداية حقبة أخرى، بل إنّ العصور الحديثة لا تستطيع أن تخرج عن الأفق الليبرالي الذي يشكّل نهاية التاريخ. لذلك لم أستغرب أبدا من وضوح الفكرة وتطورها لديه حين قرأت لفرانسيس فوكاياما كتابه "**الهوية مطلب الكرامة وسياسات الاستياء الصادر**" عن منتدى العلاقات العربية والدولية، ترجمة: مجاب الإمام، الذي يفسر الأحداث في العالم من منظار الهويات والكرامة، مرورا بما يعرف بالربيع العربي، والذي يرى فيه أن الذات الداخلية اساس الكرامة الإنسانية، بيد أن طبيعة تلك الكرامة متحولة ومتغيرة مرارا مع الزمن، حيث كانت الكرامة في العديد من الثقافات المبكرة حكرا على قلة من الناس، غالبا طبقة المحاربين المستعدين للمخاطرة بحياتهم في المعارك، في مجتمعات أخرى كانت الكرامة سمة كل البشر على أساس قيمتهم المتأصلة كبشر، وفي حالة ثالثة كانت الكرامة شرطا واجبا لعضوية المرء في مجموعة أكبر من التجارب والذاكرة المشتركة .

موقف هانس يوناس (1903 – 1993)

فإن الفيلسوف و الثيولوجي الألماني المعاصر هانس يوناس Hans Jonas (1903 - 1993) من أهم فلاسفة الإتيقا المعاصرين، اشتهر بكتابه "مبدأ المسؤولية: نحو إتيقا للحضارة التكنولوجية" Le principe de la responsabilité" الذي أصدره سنة 1979، وكذلك بعمل آخر هو "نحو إتيقا للمستقبل"، وقد نظر هانس يوناس في الشروط الجديدة المفروضة على النشاط الإنساني بواسطة التحولات البيئية، واقترح إتيقا للمسؤولية اتجاه الأجيال المقبلة، وهذه الإتيقا كما يرى هانس يوناس تتجاوز المجال التقليدي للإتيقا الذي كان يركز على أساس مجال علاقات الإنسان مع نفسه ومع الغير، وبما أن الإتيقا التقليدية تتمحور حول الإنسان فهي غير قادرة على منح معايير لتصرفات صحيحة اتجاه الطبيعة.

ويعتبر "**مبدأ المسؤولية**" من أهم الأعمال المعاصرة التي تنتقد الحداثة والتقدم، وهو من أقوى ردود الأفعال الفلسفية ضد الخطر الذي أصبح يهدد مستقبل الإنسانية والطبيعة، حيث أعرب فيه هانس يوناس عن مخاوفه من تطور البحث العلمي في المجتمعات الغربية المعاصرة، وانتقد فيه القوة الشديدة للتكنولوجيا ونزعتها العدمية المدمرة للطبيعة والإنسان، والتي اختفى معها الإيمان بالقيم المطلقة التي أسسها الدين والميتافيزيقا، وربط يوناس بين الخطر المشترك المحدق بالطبيعة والإنسانية، وهو خطر شديد يؤدي إلى تشوه أساسي أو إلى الفناء والقضاء نهائيا على الحياة[12]، ولمواجهة هذا الخطر لا بد من تأسيس إتيقا تعنى بالمستقبل، وتفتح قاعدة لسياسة حكومية حكيمة وراشدة يكون اهتمامها الرئيسي حماية الوجود والحياة الإنسانية على المدى البعيد، وينطلق يوناس في ذلك من مسلمة مؤداها أن قيمة الإنسان الطبيعية والثقافية متجذرة ومتأصلة في الإنسان والطبيعة معا.

موقف هابرماس (المولود 1929) من مفهوم الكرامة الإنسانية والعيش المشترك

يرى المحللون بمختلف مصطلحاتهم المعاصرة والجديدة كالايتيقا والأخلاقيات التطبيقية والأخلاق العملية وغيرها أن إن العيش المشترك داخل الانسجام المترجم، ليس فقط العدالة المرافقة للعقل والحب، ولكن أيضًا تفاهمًا ممكنًا بين البشر، إنسانية حب التقاسم. هذا الوصف للعيش المشترك، وهذه «المحبة تجد الترجمة الحقيقية لها عند التوحيدي الذي يسميها المؤانسة، فلو كان العيش المشترك وضعية طبيعية عند الإنسان، فالأنس والمؤانسة هما شكلان إتيقيان (أخلاقيان) والمحبة ليست شرط الأنس، بل أيضًا شرط الاستطاعة على التفكير.

وفي كتابه: "نظرية الفعل التواصلي» أعلن ها برماس أنه "يفكر في العلاقة المعقدة بين الحق والأخلاق والحياة الأخلاقية، كما سيتفحص اتساع مدلول مقولة الحق القانوني".

ويضيف أن من مهام إتيقا المناقشة ارتكازها على مبدأ الكونية الذي يعرفه بقوله: "ينبغي على كل معيار ذي صلاحية أن يستجيب للشرط الذي بمقتضاه يمكن لكل النتائج والآثار الثانوية التي هي بصورة متوقعة متأنية من واقع كون المعيار تمت ملاحظته على نحو كوني بقصد تلبية مصالح كل واحد من الأشخاص، أن تكون مقبولة من طرف كافة الأشخاص المعنيين"[13]

ويجيبنا الباحث المفكر التونسي فتحي تريكي مصدرا حكمه عل مفهوم الكرامة الإنسانية بنصه الآتي:

"....أصبحت الإتيقا اليوم ضرورة في نمط معيشة الإنسان في هذا العالم، فهي تسمح بوجود الإنسانية للعقل، فسقراط قديمًا وجّه التعقل الإنساني نحو الطبيعة ونحو النفس، وأنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، وأجبرها على تنظيم الحياة، فسقراط هو من وجّه التعقل الإنساني، وأتى بدراسة حول الاستحقاقات الأخلاقية.. وهو أول من أعطاها مفهومًا عالميًّا..[14]" .

إيتيقا النقاش لكارل أوتو آبل كحل للحفاظ على الكرامة الإنسانية

كانت الإتيقا من أهم المفاهيم التي تناولها كارل أوتو آبل في مختلف أعماله الفلسفية وخاصة "إتيقا النقاش Éthique de la discussion" الذي عرض فيه الإطار النظري لأخلاقيات التواصل في صورتها التداولية الترنسندنتالية، وأيضا في عمله الهام الآخر "النقاش والمسؤولية Discussion et Responsabilité" بجزئيه والذي عرض فيه الإطار العملي لهذه الأخلاقيات وتطبيقاتها على مختلف مجالات النشاط الإنساني، وهو العمل الذي كانت فيه مسؤولية الإنسان المعاصر أمام الأخطار المحدقة بالبشرية مثل الأسلحة النووية وتلوث البيئة وغيرها المحور الأساسي فيه، ويمكن تلخيص مفهوم الإتيقا عند أوتو آبل كما تقول أديلة كورتينا Adela Cortin في أحد الأعمال الفلسفية التي أشرف عليها آلان رينو Alain Renaut: « إن الإتيقا عند آبل تتكون من جانبين:

الجانب الأول ويتعلق بتأسيس المعايير الأخلاقية، والجانب الثاني يتعلق بمدى تطبيق هذه المعايير في الحياة الاجتماعية عبر التاريخ، والكلمة المفتاحية في ذلك هي **المسؤولية**[15] ".

موقف آلان تورين من النقاش حول الكرامة الإنسانية والعيش المشترك

كما يؤكد ألان تورين أن الاعتراف بالذوات المغايرة هو احترام لكرامتهم؛ لأن "الكرامة الإنسانية تعد واحدة من المؤشرات التي يمكننا من خلالها شرح وتحديد فكرة الحقوق الإنسانية " 2018 ,فأخلاقيا نؤصّل لوجود الخير باعترافنا بحقوق الآخر و التزاماته، لا باعتراف وجود الآخر فقط، فالاعتراف بحقوق الآخر الإنسانية هي اعتراف الكائن بنفسه كائنا إنسانيا، وبأن عليه التزامات تجاه نفسه و لذلك فإن الحياة المعيشة حسب ألن تورين لا تتم بالغطرسة، وإنما بالإيمان المتبادل بالوجود المغاير، وأنه من الاستحالة أن تنتج الذات نفسها، بل إلا من خلال فعلها الذي يقدم لها ماهيتها و يبين صورتها للآخرين فتتجلى كرامتها، فترتبط الذات بالوعي وتخرج في مواجهة العوائق دون خوف، وهذا كله أصبح من صور الذات بركيزتها الأساسية ألا وهي المدركات الواعية، و بهذا تستطيع أن توفق بين ما تريد هي كذات وما يريده الآخر كذات أخرى، و ما سيصنع هذا الثنائي في المجتمع من هذا البناء القائم على الاحترام.

توحيد عناصر الديمقراطية للحالة الإنسانية الثورية هو ما سمح بظهور ثقافة الاعتراف، ويقصد هنا الحقوق الطبيعية الأولى (العدالة والمساواة و الكرامة) وكيفية الاعتراف بمتماثلاتها الاجتماعية بلغة ألان تورين ذات فاعلة ال تفقد هويتها في المجتمع، هنا يذهب مفكرنا إلى أن "فكرة صعود الفرد نحو نفسه كذات ال يمكن تحقيقها إلا من خلال الاعتراف بالآخر كذات، فبقبول الآخر كذات أستطيع أن أعترف بنفسي كذات، هكذا يريد أن يثبت ألان تورين ضرورة وجود الآخر والخروج من النرجسية.narcissisme ويلتقي في الفكرة نفسها مع بول ريكور "لا الآخرية تلغي الذاتية، ولا

الذاتية تلغي الآخرية [16]" بمعنى أن الآخر ينتمي إلى الذات، و بهذا فنحن نعترف بالآخر، فالذات فاعلية وعي وإرادة حاضرة.

الخاتمة:

نظرا لزيادة انتهاكات حقوق الإنسان الأساسية، وتزايد تهديدات الأمن الإنساني وتحدياته على المستويين المحلي والدولي؛ صار اتفاق أطراف المجتمع الدولي على حماية قواسم المشترك الإنساني ومبادئه العالميّة أمرا مطلوبا شرعا وقانونا، والسعي الجماعي على تحصينها بحصانة دائمة تستمدّ قوتها التشريعية من النصوص الشرعية والقانونية؛ وهو المخرج الأقرب لنجدة حياة الإنسان حاضرا ومستقبلا.

إن احترام مبدأ الكرامة الإنسانية وتحقيق الأمن الإنساني كفيل بجعل كلّ فرد من أفراد المجتمع الإنساني يستشعر قيمته الإيجابية فردا وجماعة.

لكن هذا لن يتم فإسرائيل تمثل القوة والهيمنة والغطرسة وهي امتداد للغرب في نظر الشرق. لقد انطلق قطار التسوية رسمياً منذ مؤتمر مدريد 1991م بين الدول العربية وإسرائيل ووصل ذروته في اتفاقيات أوسلوا الموقعة بين إسرائيل وبين منظمة التحرير الفلسطينية (السلطة الفلسطينية فيما بعد) عام 1993 ، وشكلت هذه الاتفاقيات مرحلة جديدة ومتقدمة في الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني, وكان أبرزها الاعتراف المتبادل بالطرفين و الإقرار بوجود دولتين إسرائيل والأراضي المحتلة عام .1967 غير أن إسرائيل منذ ذلك التاريخ وحتى الآن تماطل في الاعتراف بالحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني كي يضمن له دولته المستقلة

إن إسرائيل أثبتت فعاليتها في المنطقة كحليف إستراتيجي للغرب وفي مقاومة أعدائه التقليدين، الاتحاد السوفيتي سابقاً، والدول ذات النظم والروابط ذات التوجه القومي أو الإسلامي

ويمكن أن نذّكر بالدور الإسرائيلي مؤخرا في الحرب على العراق حيث قامت بتزويد الولايات المتحدة الأمريكية .ومن هنا يمكن 43 بالسلاح ومساعدة رجال المارينز على التدرب على حرب المدن وعمليات التجسس معرفة ليس فقط محافظة الغرب على إسرائيل وأمنها وإنما مدها بكل أسباب التفوق على الدول العربية والاسلامية المجاورة منذ نشأة الدولة العبرية عام 1948 حتى الآن.

لذا يمكن القول: أنه لا توجد حضارة مهما بلغت من قوة وعظمة استغنائها عن " الآخرين" في مسيرتها نحو المستقبل، والواقع يقول أن الحضارة هي وقوع تفاعل وتبادل في الأخذ والعطاء بين الحضارات الإنسانية التي تعاصرت على امتداد التاريخ، إذ إن الاستعلاء هو أحد محددات التباعد والصراع، فالحضارات الغربية هي التي أنتجت المآسي والويلات للمجتمعات العالمية من حروب عالمية إلى استعمار الى أزمات اقتصادية إلى الحركات العنصرية و الفاشستية التي دمرت الكثير من الانجازات البشرية إلى الاستعمار والاحتلال ومن هنا يحاول الغرب تغليف استعلائه على الآخر و عنصريته بغلاف التفوق العلمي والصناعى الموهوم.

وإننا اليوم ونحن نخط هاته الكلمات نحاول توجيه المنحى نحو سياسة الاعتراف بالاختلاف(différence la de reconnaissance)بعبارة نانسي فريزر (م 1948) بخاصة ونحن نعيش في كنف ظاهرة العولمة، ولكنّنا نوظّفها في شكلٍ من الطّرح مختلف، فنمنحها بعداً عالمياً من شأنه أن يفتح باب الحوار على مصراعيه، ومن العمل على تأسيس حوارٍ حضاري يتأسس على نظامٍ فكري وعلاقات سياسية جديدة تقوم على قواعد التّحرر والندية والتكافؤ، وليس على قواعد النهب والسيطرة والإقصاء والتهميش كما هو سائد.

وإن إن لفظ التّعايش ينبغي أن يجمع بين اجتماعية الإنسان وحكمته، وبين نشوة اللّقاء والاختلاف الثّري، وبين الصداقة والحنان، وأخيراً بين الضيافة والانفتاح على الآخر.

[1] –د. جيل كارول، محاورات حضارية (حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني)، دار النيل، مصر، 2011، ص42.

[2] – ابن مسكويه :**تهذيب الأخلاق** ، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، ط 1، 2011، ص 43.

[3] – براهيم عبد الله: **الثقافة العربية والمرجعيات المنهارة: تداخل الإنسان والمفاهيم ورهانات العولمة**. المغرب: المركز الثقافي العربي. .1، ص 129.

[4] – الأب أبو صلاح اليسوعي :إشكالية مفهوم الكرامة الإنسانية المتأصلة، تحديات ثقافية تقوم على مفهوم حقوق الإنسان ،مجلة المشرق، بيروت، السنة ،90 الجزء ،1 ص1.

[5]– 0. Emmanuel Kant ,fondements de la métaphysique des mœurs , paris , vrin ,1980 ,p 105

[6]– انظر: تقرير لجنة أمن الإنسان الموسوم بـ: "أمن الإنسان الآن: حماية الناس و تمكينهم "، منشورات الأمم المتحدة، نيويورك، ،2003 ص.

[7] – عمار جيدل: **حوار الحضارات ومؤهلاته في التأسيس للتواصل الإنساني**، دار الحامد، عمان، الأردن ،2013 م ،ص 29.

[8] – إيمانويل كانط: **مشروع السلام الدائم**، تر عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،1952 م، ص 01.

[9] – إيمانويل كانط: **مشروع السلام الدائم**، تر عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،1952 م، ص17.

[10]– عبد الجبار الرفاعي :**الدين والكرامة الإنسانية**، دار التنوير في بيروت، ومركز دراسات فلسفة الدين في بغداد ط1 ، 2021م،ص83.

[11] –عبد الجبار الرفاعي :**الدين والكرامة الإنسانية**، دار التنوير في بيروت، ومركز دراسات فلسفة الدين في بغداد ط1 ، 2021م،ص 7.

[12]- Monique Canto-Sperber, dictionnaire d'éthique et de philosophie morale, Op.Cit, p, 764.

[13] -J ürgen Habermas, morale et communication, conscience morale et activité communicationnels, traduit par Christian Bouchain homme, paris Edition Flammarion 1986, p86.87.

[14]- Fethitriki.philosopher le Vivre ensemble chaire UNESCO de philosophie, l'or du temps 1988, Tunisie, P29

[15] - Cortina Adela, éthique de la duscusion…, in Renaut Alain et al, histoire de la philosophie politique, 5, les philosophies politiques contemporaines, Calmann-Lévy, 1999, p, 188.

[16]– بول ريكور: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي،ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008م،ص

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن مسكويه :**تهذيب الأخلاق** ، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، ط 1، 2011.
- ابن منظور، **لسان العرب**، باب الراء، فصل الحاء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م،
- أبو الفضل ، منى و الاخرون :**الحوار مع الغرب** ، الياته ، أهدافه ، دار الفكر، دمشق ، 2008
- أحمد عبد الرحيم السايح: **فلسفة الحضارة الاسلامية**، د.ط، مطابع الاهرام، النيل، مصر، 1989.
- إيمانويل كانط: **مشروع السلام الدائم**، تر عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،1952 م،
- إيهاب النجدي : **صورة الغرب في الشعر العربي الحديث** ،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطن للإبداع الشعري ، الكويت ،2008.
- بايبر ، مايكل : **كهنة الحرب الكبار** ن ترجمة حسين شريف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2006
- البداح محمد بن خالد : **حوار الحضارات مقاربة فلسفية في ضوء الدراسات الإسلامية المعاصرة** ،السودان ،2015
- براهيم عبد الله: **الثقافة العربية والمرجعيات المنهارة: تداخل الإنسان والمفاهيم ورهانات العولمة**. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بشار باكور : **الإسلام والعرب** ،**بين الاساطير الصدام وحقائق الانسجام** مديرية الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق
- بلقزيز عبد الإله :**العرب و الحداثة**، دراسة في مقالات الحدثيين ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،2007م.

- بول ريكور: **الذات عينها كآخر**، تر: جورج زيناتي،ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008م.
- تقرير لجنة أمن الإنسان الموسوم بـ: "**أمن الإنسان الآن: حماية الناس و تمكينهم** "، منشورات الأمم المتحدة، نيويورك، ،2003 .
- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ،لبنان :دار الكتاب اللبناني ،1992،الجزء الأول ،ص 501.
- جيل كارول: **محاورات حضارية (حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني)**، دار النيل، مصر، 2011،.
- حمودة، عبد الحميد ، **الحضارة العربية الإسلامية و تأثيرها العالمي**، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، د.ت،
- روجي جارودي : **الولايات المتحدة الامريكية، طليعة الانحطاط** ،ترجمة مروان حمودي،ط1،دار الكتاب لنشر والطباعة، دمشق، سوريا، 1998 م
- روجي جارودي: **محاكمة الصهيونية الإسرائيلية**، ترجمة ،عادل معلم ، ط 2،دار النشر،القاهرة،مصر،1999
- روجي جارودي: **مشروع الامل** ،ط1،دار الأدب ،بيروت، 19997
- زكي الميلاد وآخرون : **تعارف الحضارات**، ط1، دمشق – سوريا، دار الفكر، 2006م
- زكي الميلاد: **الإسلام والإصلاح الثقافي**، مركز آفاق للدراسات والبحوث، ط 2 ، 2006 م.
- زكي الميلاد: **الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلامي وقضاياه ومشاكله وإشكالياته**، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2007م.
- زكي الميلاد: **المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة** ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي بيروت، ط 2 ، 2010م.
- زكي الميلاد: **مقدمات في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر**، مجلة الكلمة، بيروت – لبنان، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد: 7، السنة الثانية، ربيع 1995م/ 1415هـ،

- سامر رضوان أبو رمان :**الأبعاد السياسية لحوار بين الأديان** ، ، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2005م.

- سيد قطب:**في ظلال القرآن**، المجلد السادس (الأجزاء: 26- 30)، ط 9، بيروت والقاهرة، دار الشروق، 1980م.
- شلبي أمين : **أمريكا والعالم متابعات في السياسة الخارجية الامريكية** ، نشر وتوزيع عالم الكتب ، القاهرة ،مصر ، 2000-2005

- صموئيل هنتنجتون، **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي.**، ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوة، محمد محمود خلف، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1999م.
- صموئيل هينجتون:**آفاق الصدام، الإسلام والغرب**، تر، مجدي شرشر ،القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1 1995،
- صموئيل هينجتون: **أمريكا الأنا والآخر...من نحن؟ الجدل الكبير في أمريكا**، تر، عثمان الجبالي المثلوثي، ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط1 ،2006م.
- صموئيل هينجتون: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ترجمة، مالك عبيد أبو شهيوة، محمود محمد خلف، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1 ،1999
- عباس غالي ، الحديثي : **نظريات السيطرة الاستراتيجية والصراع الحضارات** ، دار أسامة لنشر والتوزيع ، الأردن عمان ، ط 1، 2004
- عبد الجبار الرفاعي :**الدين والكرامة الإنسانية**، دار التنوير في بيروت، ومركز دراسات فلسفة الدين في بغداد ط1 ، 2021م،
- عبد الحليم أيت أمجوص، **حوار الأديان، نشأ ته و أصوله وتطوره**، دار الآمان للنشر والتوزيع ودار ابن جزم، الرباط ،بيروت، ط،1 ،سنة2012،.
- عبد العزيز عثمان التويجري: **حوار الثقافات والحضارات لمواجهة العنصرية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو- المملكة المغربية- الرباط,2016.

- عروة ، عباس:**صدام الحضارات من منظور علم النزاع والسلم** ، في المنتدى الفكري الاول للدراسات ، بعنوان الإسلام والغرب :من أجل عالم أفضل، الدوحة26-28،ماي ،2020.
- علي حرب: **العالم ومأزقه ،منطق الصدام ولغة التداول** ، المركز الثقافي العربي،ط1، سبتمبر2002م .
- علي شريعتي: **تاريخ الحضارة**، تر: حسين نصري، ط2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 2007م/1428هـ،
- عمار جيدل: حوار الحضارات ومؤهلاته في التأسيس للتواصل الإنساني، دار الحامد، عمان، الأردن ،2013 م ،ص 29.
- غريغوار منصور مرشو ، سيد محمد صادق الحسني : **نحن والآخر** ، دار الفكر ، دمشق – سورية ،دار الفكر المعاصر ،بيروت لبنان ، ط2001،1م.
- صوفي بسيمس، **الغرب والآخرون قصة تفوق**، باريس، دار لاديكوفيرت2001م .
- مالك بن نبي : **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** . دار الفكر/ الجزائر . ودار الفكر/دمشق سورية . ط 3 1988م.
- مالك بن نبي: **شروط النهضة** ، تر : عبد الصبور شاهين ، ط4، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1986.
- مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية**. تر : عبد الصبور شاهين دمشق، دار الفكر.1986..
- محمد السماك: **مقدمات إلى الحوار الإسلامي المسيحي** ، لبنان، دار النفائس، ط 1، 1998م .
- محمد حسام الدين، **العولمة وصورة الإسلام**، المدينة بيرس، مصر، ط1، 2002
- محمد خليفة حسن :**لحوار بين الأديان أهدافه و شروطه والموقف الإسلامي منه** ،
- محمد مهدي شمس الدين: **الحوار الإسلامي المسيحي، نحو مشروع للنضال المشترك**، مؤسسة الإمام شمس الدين للحوار، بيروت،2004.

- مركز دراسات فلسطين والعالم " **الصراع العربي الإسرائيلي في ظل المستجدات الدولية**, سوريا – ريف دمشق .د. ت . د .ن،.
- وليد محمد عبد الناصر: **حوار الحضارات**، ط1، نهضة مصر، مصر، 2007.
- يوسف الحسن **الحوار الإسلامي المسيحي – الفرص والتحديات** ، دار الكتب الوطنية أبوظبي، ط1، 1997م،

المواقع الالكترونية والمجلات :

- موقع زكي الميلاد: الموقع الالكتروني نفسه :[**http**: // **www.Almilad.org**]

- زيارة الموقع : (الرابط https://taqrib.ir/ar/article/ثقافة-الحوار-في-مواجهة-اختلاف-الأمة

- /الحوار-والحجاج-والتخاطب-الإنساني-عند-طه-عبد-الرحمن. pdf Users/twins/Downloads

- الأب أبو صلاح اليسوعي :**إشكالية مفهوم الكرامة الإنسانية المتأصلة، تحديات ثقافية تقوم على مفهوم حقوق الإنسان** ،مجلة المشرق، بيروت، السنة ،90 الجزء ،1

المراجع باللغة الأجنبية:

- Cortina Adela, éthique de la duscusion…, in Renaut Alain et al, histoire de la philosophie politique, 5, les philosophies politiques contemporaines, Calmann-Lévy, 1999, .
- Emmanuel Kant ,fondements de la métaphysique des mœurs , paris , vrin ,1980 ,
- Fethitriki.philosopher le Vivre ensemble chaire UNESCO de philosophie, l'or du temps 1988, Tunisie
- J ürgen Habermas, morale et communication, conscience morale et activité communicationnels, traduit par Christian Bouchain homme, paris Edition Flammarion 1986
- Monique Canto-Sperber, dictionnaire d'éthique et de philosophie morale, Op.Cit, p, 764.
- Procter, Paul & others : Longman dictionary of contemporary English, Beirut, Librairie du Liban, 1984, p.188& 189.voir :le petit la rouse illustrè,paris,p251 .2007).